تحت الأحزان ..

رواية ..

العنوان: تحت الأحزان (رواية)

المؤلف: حسن البنداري

الطبعة الأولى: ٢٠١٣

الناشر: مكتبة بورصة الكتب للنشر والتوزيع

اللوحة والغلاف: للفنان/ أحمد الجنايني

مكتبة

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٢٥ شارع شريف- القاهرة

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣-٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٨٧٦٧

الترقيم الدولي: 978-977-5016-45-4

حقوق الطبع محفوظة

حسن البنداري

تحت الأحزان..

(رواية)

الطبعة الأولى

٢٠١٣

الناشر

بورصة الكتب

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣-٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

البنداري، حسن.

تحت الأحزان: رواية / حسن البنداري. -ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع،٢٠١٣ .

ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٤-٤٥-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

١-القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان.

٨١٣

(١)

اكتأب القلب السبعينى . اكتأب منذ أيام بإعلان النتيجة بالتليفزيون . جاءت النتيجة فى صالح الحزب الحاكم مثل كل دورة برلمانية سابقة . تم الإعداد وأُحكم التدبير لإخفاء التزوير بمانشيتات مثيرة ذات ألوان صارخة ، ومقالات فى الصحف القومية تؤكد نزاهة الانتخابات .. وظهر قائد عملية التزوير على شاشات التليفزيون وفى الصحف مزهواً وفخوراً

بما حقق وأنجز ، وأيد النتيجة كتاب بالصحف القومية ، ومحللون بعدد من برامج الفضائيات المصرية والعربية ، بينما شكك بل طعن المعارضون بصحف المعارضة والصحف المستقلة ، وأدانوا عملية التزوير التى قادها المهندس العبقرى فتى الحزب المدلل ! ..

نظر ثابت المراسى فى ساعة الحائط الكبيرة العريقة .. تشير إلى الواحدة ظهراً بينما اخترقت أشعة شمس نوفمبر الدافئة زجاج شرفة غرفة المكتب . تحول إلى شاشة التليفزيون أمامه: ها هو ذا الرئيس المنتشى بالفوز .. رئيس الحزب يتبوأ الجلسة المشتركة لمجلسى الشعب والشورى ، وها هى نشوته تتعزز -وهو يلقى خطابه التاريخى- بصوت نائب الحزب الوطنى يقاطعه قائلاً :

- المعارضة ياريس .. تعتزم المعارضة إقامة "برلمان مواز" ياريس فى التحرير .

توقف الرئيس المنتشى بالفوز برهة ، ثم قال عبارة مثيرة وهو يضحك بسخرية واستهزاء ..

- "خليهم يتسلوا" .

ثم استأنف خطابه التاريخى المكتوب ، مصحوباً بتصفيق حاد ، وهتافات للحزب ورئيسه دوّت فى أرجاء القاعة ..

تساءل ثابت المراسى وهو يتابع المشهد التليفزيونى المستفز عن مصير صوته الذى أدلى به لمن يستحقه فى جميع الانتخابات التى جرت بعد تولى حسنى مبارك رئاسة مصر عام ١٩٨١ عقب اغتيال الرئيس السادات ، بل تساءل عن مصير صوته فى عهد الرئيس عبد الناصر المتوفى عام ١٩٧٠ .

وقال فى نفسه: لم أدل بصوتى فى دائرتى فى الهرم فى الانتخابات التى جرت فى عهد الرئيس السادات لسفرى

بعد حرب ١٩٧٣ بعامين إلى الكويت بساق يمنى صناعية بديلة عن ساقى التى بترها الأطباء نتيجة إصابتى بشظية قنبلة وأنا أرفع علم الوطن على تل بالضفة الشرقية للقناة عقب العبور الكبير .. (أدليت بصوتى بالسفارة المصرية بالكويت فى كل انتخاب تجريه الدولة) ..

رغم تأكده من آفة التزوير التى تقترن بكل انتخاب يجرى فى الوطن – فإنه حريص على الإدلاء بصوته . كم حدث نفسه بأسى خالطه إحساس بالقهر والغضب : أعلم أن صوتى وأصوات سواى عبثت بها الأيدى الجهنمية لتذهب لمرشح الحزب الوطنى أو إبطالها ..

فى كل دورة برلمانية يتملكنى إحساس عارم بأن صوتى سوف يأخذه من لا يستحقه . وكم تساءلت: ما فائدة التصويت بإجراءاته إذا كانت النتيجة معدة سلفاً لصالح الحزب الحاكم ؟! ، وكم قلت مستنكراً بصوت غير مسموع : أى

تزوير ! ، وأى جبروت ! ، وأية فضيحة! ، وأى تسفيه لعقول بنى وطنى وعقل ثابت المراسى السبعينى!..

(٢)

تحول عن الشاشة مازال فيها الرئيس المنتشى ورئيسا المجلسين ، والوزراء يتوسطهم "الوريث" ابن الرئيس باهتمام واطمئنان ، وعلت الوجوهَ ابتسامات واضحة إعجاباً بفقرات الخطاب التاريخى المصحوب بهتافات التأييد الجماعية ، يطلقها بآخر الصفوف عشرات من أعضاء الحزب ..

نهض من مكانه .. أدار ظهره لوجوه الشاشة والأصوات.. تابع للحظات أرفف المكتبة على يمينه .. تكتظ بمئات الكتب العلمية الجامعية ، والكتب العامة القديمة والحديثة : المكتبة هى الملاذ الأخير بعد أن أنهى حياته العملية باستقالته من الجامعة التى تدرج فيها حتى وصل إلى درجة الأستاذية. الدكتور ثابت المراسى : أستاذ علم الاجتماع السياسى بأداب

القاهرة. استقال رغم اعتراض البعض من أجل التفرغ للتأليف العلمي ومتابعة مريديه..

يهرع إلى المكتبة عندما تحتدم فى الرأس الضغوط والهموم والأحزان، والرغبة فى الهروب من أحداث الواقع المرير . ربما يجد فيها طمأنة لنفسه ، وتهدئة لخواطره المتزاحمة ، وتذكيراً بأن دوره مستمر لم يتوقف ، موصول لم ينقطع ..

غادر غرفة المكتب واتجه إلى الصالة تحتوى على أنتريه عتيق تركوازى اللون يواجه جهاز تليفزيون فوق منضدة مرتفعة ، بينما أرسل بصره إلى ممر يضم غرفة نومه فى آخره، وأربع غرف؛ ثلاث للأبناء حمزة وجهاد ونجيب، والغرفة الرابعة لمريم .. آخر العنقود ..

مضى بهدوء تجاه الأنتريه العريق .. تجلس زوجته "حياة الشاهد" أمام التليفزيون فى فوتيه متوسط الحجم .. تثبت

عينيها فى الرئيس المنتشى والوزراء وجمهور الحاضرين .. تنقل نظراتها بين رئيسى مجلسى الشعب والشورى والرئيس..

تتأمل ابتساماتهم الواثقة المطمئنة .. تفصح عيناها عن خيبة أمل تشعر بها كلما شاهدته وسمعته عقب كل فوز تزويرى ، وكم تساءلتْ: كيف له أن يبتسم بانتشاء وهو يعرف بأمر التزوير؟! ، وكيف يبتسم المعاونون وقد شاركوا فى العملية المؤسفة؟! ..

اقترب منها وتأمل وجهها المرمرى وهمس : مازالت حياة الشاهد محتفظة بالرشاقة والبهاء والجمال ، شعرها أسود طويل منسدل . تخالطه شعرات بيضاء متناثرة . هى مثلى فى السبعين . اقترب أكثر وانحنى قليلاً وقبل رأسها ، وربت كتفها بكف حملها معانى الرقة والحنان والحنين . وقال فى نفسه: حياة الشاهد لن تشيخ ، متدفقة بحيوية الأيام الخوالى ، لم تكف يوماً عن التفكير فى الوطن والأبناء ..

شعرت حياة بحنو كفه . ربتتها بكفها اليسرى.. صعّدت إليه نظرة حب وامتنان وقالت بصوت غاضب وهى تشير إلى الشاشة :

- شاهد واسمع . يستخف بعقلى وعقلك وعقول الناس .. مهزلة .. مهزلة .. إلى متى تستمر المهزلة ؟! ، متى تنتهى ؟!

شملتهما لحظات صمت قال خلالها يخاطبها فى نفسه: أقدر غضبك وانفعالك ، أضم صوتى إلى صوتك ، فأسأل متى ينتهى الاستخفاف بالعقول؟!. "وكم قلت لك يا حياة مرات ومرات ..

- تستمر المهزلة بالعسف والبطش والاعتقال والإخفاء .

وكم عقبت على قولى بتساؤل محدد:

- والحل ؟

وكم أجبت:

- بالثورة عليهم والإطاحة بهم .."

توارت لحظات الصمت .. عادا إلى الشاشة يتابعان حركة كاميرات الاجتماع المشترك وهى تتنقل بين وجوه الصفين الأول والثانى .. تبدو الوجوه باسمة مطمئنة ومستريحة بالفوز الساحق ، وبصوت الرئيس المنتشى ..

تداخلت فى المشهد المستفز صورة مظاهرة لحركة "كفاية" ذات أصوات جريئة محتجة بميدان طلعت حرب فوق رصيف جروبى. شاهد لأول مرة المظاهرة منذ عام ، وهو عائد من جلسة شاى فى مقهى إكسلسيور بطلعت حرب ضمه وصديقه الدكتور ناجى عزيز زميله بالكلية. وسمعت هتافات . تطلع إليه بعضهم بعيون ذات معنى وهو يعبر المكان فى طريقه إلى شارع قصر النيل .. صك أذنيه هتاف مكرر هز قلبه بالدهشة والعجب :

- "يسقط يسقط حسنى مبارك"

كان المحتجون يقفون تحت لافتة **كفاية** دون خوف ولا اكتراث بجنود أمن مركزى متأهبين، وفى انتظار أمر التدخل لفض المظاهرة..

مضى عابراً الشارع يفكر فى معنى نظرات العيون التى سلطها عليه بعض المتظاهرين . فكر فى أنه يسمع لأول مرة أصواتاً جماعية تهتف بسقوط الرئيس .. اعتقد ثابت والناس أن الرئيس معصوم وغير قابل للسقوط إلا بالموت .. وبدا لثابت والناس أن نظامه قائم وسار لسنوات ثقيلة قادمة حتى بعد غيابه بموت أو عجز ؛ فالوريث جاهز ، والجميع حوله فى جولاته التلميعية ..

رغم "الهتاف المفاجأة" شعر بأحاسيس متفائلة . ابتسم وهو يعبر ميدان التحرير إلى مدخل كوبرى قصر النيل بأسديه المتحفزين فى طريقه إلى مسكنه بحدائق الأهرام: طال الانتظار للهتاف المحتج . حقاً قرأ فى الصحف عن وقفات احتجاجية لحركات ٦ إبريل ، و٩ مارس ، والجمعية الوطنية للتغيير ، ولكنه لأول مرة يسمع هتاف السقوط .. فهل حان الوقت لسقوط الحزب الوطنى الجاثم فوق الصدور؟..

كم قرأ فى الصحف المعارضة والمستقلة والحزبية عن خطورة مشروع "التوريث" الذى يعده ويروج له شباب "لجنة السياسات" ، وعدد من الوزراء ، ورئيسا مجلسى الشعب والشورى ، لكنه كان يشعر فى أعماق نفسه بأن الرفض الشعبى مصير التوريث ؛ فتحتَ سكون الأغلبية حركة متوثبة تنتظر اللحظة المناسبة .. الانفجار الحتمى وشيك سيتم رغم التحوط والحذر ، لن يبقى الانفجار على شيء ولن يذر . العقل غاضب والقلب مستعر.. "ذات مرة قال حمزة أكبر الأبناء غاضباً :

- أنا أنتمى لحركة كفاية ، هل ستغضب منى يا أبى إذا أصبت فى المظاهرة ؟

فبادر ثابت إلى القول ضاغطاً قلقه :

- هل تظن أنك وطنى أكثر من أبيك ؟!
- بالعكس .أنا فخور بك .. أكلم دائماً أصدقائى وزملائى عنك . عن بطل حرب الاستنزاف و٧٣ .

صمت حمزة قليلاً ثم قال بحنان :

- لا أريد يا أبى أن تحزن علىّ إذا أصبت . زميلى فى الحركة تلقى ضربة على رأسه ونحن نتظاهر أمام القضاء العالى ، وهو الآن يعالج فى "الفرنساوى" .

شعر بضربات قلبه السبعينى تتوالى عندما تذكر حواره مع حمزة . امتدت يده إلى صدره تتحسس مواضع القلب المتألم . ها أنا ذا الآن أتمنى له أن يلزم الحذر ، وأدعو الله أن يجنبه موجات الخطر ، وأن يحفظ أقرانه من غياهب المجهول ومتاهات القدر . كيف يمكن لى أن أشعر بالسلام وأنا أرى أبنائى وأصدقائى فى مهاب رياح حبلى بالشرر ؟!

(٣)

امتدت يدها إلى كفه التى أراحها على كتفها الأيمن . ربتتها بحنان غامر ، ودعته برقة شديدة إلى الجلوس فجلس صامتاً فى مقعد مجاور ، بينما تشابكت كفاهما فوق مسند مقعدها ..

تبادلا نظرات مفعمة بالمودة والتعاطف .. تفاهمت العيون وأقرت بأن الحدث الكبير المتوقع منذ سنوات بعيدة يوشك أن يقع هذه الأيام .. ربما اليوم أو غداً ، أو بعد غد ، أو الشهر القادم .. حتما ستنتهى المهزلة ويسقط النظام . قالت بصوت هامس:

- البلد موشك على الانفجار.

عقب ثابت بقوله:

- والغريب أن الأعوان والمساعدين مطمئنون .

فسارعت إلى القول :

- ولا يتوقعون أن الانفجار وشيك .

فأردف قائلاً :

- لاهون ومنتشون بتزوير فاضح ونصر زائف .

وقالت غاضبة :

- صدقوا أنفسهم .. فلا تزوير ولا زيف ؛ كل شيء تمام، والناخبون قالوا كلمتهم واختاروا المرشحين ..

لكن الفكر الجهنمى رتب لانتصار كاسح للحزب الوطنى، وعلى الجميع تقبل النتيجة ، وعلى الآخرين أن يرضوا بالهزيمة بروح رياضية ورؤية ديمقراطية !

قال بأمل :

- ستزداد الاحتجاجات ، وتشتد المظاهرات .

فقالت بأسى :

- وستقمع كالعادة .

فقال :

- ويسقط ضحايا ، وتعتقل الشرطة الحديدية عدداً غير معلوم .

فهمست بقهر :

- البلد محكومة بيد من حديد .

فسارع إلى القول :

- ولو .. سيحدث الزلزال عن قريب .

دائما التفكير فى زواج الأبناء ؛ من حقهما أن يفرحا بالأحفاد . آن الأوان ليكون لثابت المراسى وحياة الشاهد أحفاد يملئون الحياة بالبهجة والفرح والسعادة .

ألا يفكر الأبناء فى إسعادهما وإرضائهما بالأحفاد ؟ لماذا لايفكرون ؟ متى يفعلون ؟! .. لكن مالبث التمنى أن تراجع ، ومالبثت الرغبة أن ضعفت بالإحساس الحاد والتوقع الشديد بالانفجار الموشك الذى لن يبقى على شىء ولن يذر ، فعما قريب سيطول كلَ إنسان جحيمُ الخطر والانهيار ..

(٤)

دقت ساعة الصالة فانقطع حبل أفكاره .. انفتح باب إحدى غرف الممر المقابل.. خرج حمزة ومضى فيه خطوات أسلمته إلى الأتريه . أقبل على الوالدين بابتسامة حانية صافية. حياهما: قبل يد الوالد ورأس الوالدة .. تطلعا إليه بحنان: بكامل ملابسه . مستعد للخروج . نظر متوتراً فى

عادا إلى صمت خيم عليه القلق على الأبناء الأربعة ، كيف لا يشعران بالقلق والأبناء منتمون إلى تيارات سياسية مختلفة؟ ، حمزة الأكبر (٣٥) سنة .. أستاذ مساعد بكلية الحاسب الآلى بجامعة عين شمس ، وعضو فى حركة كفاية منذ ثلاث سنوات . وجهاد (٣٠) سنة.. مدرس بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، وينتمى إلى الجماعة المحظورة ، ونجيب (٢٨) سنة مدرس فى حقوق حلوان ، وعضو فى حركة ٦ إبريل ، ومريم .. أخر العنقود (٢٣) سنة فى الفرقة الخامسة بطب القاهرة وتتشيع لحزب التجمع .. الجميع رافض لفكرة الزواج . تسمع من كل منهم كلاماً موحداً :

- البلد يحتاج إلى ما هو أهم من الزواج .

وإذا جرت مناقشة الأمر استأذنوا وذهب كل منهم إلى حال سبيله ..

رغم أن ثابت المراسى وحياة الشاهد مقتنعان بموقف الأبناء ، وبالدور الوطنى الذى يعيشون فى إطاره – فإنهما

ساعة الحائط العريقة. يشير العقرب الكبير إلى الخامسة .. بدا أنه على موعد. لكن جلس أمامهما بعينين محمرتين وزائغتين.. تأملهما لبرهة كانت كافية ليرى القلق فى العيون الأربعة ..

أطرق صامتاً وقلبه مفعم بالشجن ، دائماً يرى فى الظاهر والباطن .. هنا وفى الخارج ساق والده اليمنى الصناعية ؛ ثابت المراسى قدم الكثير عن طيب خاطر . فكر فى مذكراته "يوميات محارب" – التى مازالت مخطوطة – عن حربى الاستنزاف وأكتوبر ٧٣..

تواصل تفكيره فى صمت : ها أنت تراه وهو يأسر الجندى الإسرائيلى عقب مهاجمة الدورية فى ظلام سيناء ، ويسلمه إلى قائد مجموعة العبور الجزئى التى كمنتْ للدورية المستفزة ، وها هو يصعد مع زميليه "ناجى عزيز وجودة البنهاوى" أثناء العبور الكبير فى ٧٣ إلى قمة تل لإسقاط العلم الإسرائيلى ورفع العلم المصرى ..

وهذه دفعات رصاصات كثيفة تنطلق من مدفع حصين أصابت ظهر ثابت وها هى شظية قنبلة يدوية تستقر فى ساقه اليمنى ..

هاأنت تراه وسط أطباء فى المستشفى العسكرى اضطروا – حفاظاً على حياته- إلى بتر ساقه اليمنى .. أحب أبى البطل .. أحب ثابت المراسى وأفخر به فى كل مجلس وتجمع . أفكر فى ساقك الصناعية وأشيد بك يا أبى ، ولا أحب يا أبى أن أغضبك . أعلم أنك وأمى خائفان لأن الانفجار وشيك ، مذعوران من عاصفة ذات إعصار مدمر لن يبقى ولن يذر ..

رفع عينيه من إطراقته لتلتقيا بعينين تعكسان لهفة ممزوجة بدموع حانية: حياة الشاهد . يشعر بالفخر ويتحدث عنها كلما جرى الحديث مع الأصدقاء عن الأمهات .. ولماذا لا أفخر بك يا أمى وقد قرأت فى "**المذكرات المخطوطة**" بأنك

مناضلة عريقة؟. قال أبى عنك: "حياة الشاهد كانت مناوئة نشطة طوال سنوات الدراسة بالجامعة ، وبعد التخرج . فى كل مناسبة تجهر بأفكارها المطالبة بالحرية ، ورغم اعتقالها والتحقيق معها بمعرفة مباحث أمن الدولة عدة مرات لاشتراكها فى تنظيم مناوىء للدولة فإنها لم تكف عن الدعوة إلى الحرية ..

كم نصحتها بحكم الصداقة والزمالة أن تخفف من نقد السلطة ، لكنها كانت عنيدة شجاعة .. توجت حبى لحياة الشاهد بزواج تعاهدنا عليه فى المنتزه العام بطنطا فى أواخر مارس ٦٧ قبل الحرب بشهرين .. وقد تم الزواج بعد ستة أشهر من انتهاء حرب ٧٣ . حاولتُ ألا يتم الزواج لأننى بساق صناعية، لكنها صممت على إتمامه ، ولم تشعرنى يوماً بأن إحدى ساقى صناعية.. بقينا لمدة عامين بطنطا . عملنا "بصحيفة الغربية" المتواضعة . أنجبنا فى نهاية العام الأول إبننا حمزة .. وشجعتنى على السفر إلى الكويت للعمل بصحيفة السياسة

اليومية . ترددت فى البداية ، لأننى كنت قد سجلت بقسم الاجتماع بأداب القاهرة موضوعاً لنيل درجة الماجستير عن "أثر نكسة ٦٧ فى البناء الاجتماعى المصرى" . وقد نوقشت الرسالة بعد سنتين ، وتفرغت هى لتربية حمزة وأشقائه الثلاثة الذين أنجبناهم فى الكويت" . عدت بأسرتى بعد ثلاث سنوات لأتسلم وظيفة مدرس مساعد بقسم الاجتماع بآداب القاهرة . لم أنس سنوات الحياة فى الكويت ..

كم أحب ثابت المراسى وحياة الشاهد وأحب خوفهما وقلقهما علينا . ولكننى أحب وطنى ، وأجاهر بالتظاهر من أجله : "مرة فى الشهر الماضى ضربنى جندى أمن مركزى على رأسى بأمر من قائده الضابط المتشدد عندما حاولت منع الطلاب من تجاوز باب الجامعة الرئيسى . حين سقطت انحنى علىّ الجندى وحملنى بعيداً ، وضغط بيده على رأسى لوقف النزيف . اعتذر الجندى وقال:

- اعذرنى .. سامحنى . أنا أنفذ الأوامر .

قلت وأنا أتألم من الضربة العنيفة :

- أنا لم أخرج من الباب ، كنت أحاول إعادة الطلاب إلى الداخل .

بينما سمعت الضابط المتشدد يقول باستعلاء:

- هذا زعيمهم . اضرب الزعيم لينصرف الجميع .

كرر الجندى اعتذاره فطمأنته.. سامحته. قبل اعتذارى. لكننى لم أسامح من أصدر الأوامر .. لا يمكن أن أسامح القيادات العليا التى أمرت بالقمع يا أبى البطل . هدأ الأب ثائرتى ، وتحسس رأسى المربوطة حانياً بأصابعه وقال:

- أغلبية الشعب صامتة .

فبادرت إلى القول:

- أؤكد لك أن الانفجار قريب .

فكرر أبى :

- أغلبية الشعب صامتة .

فعقبت بحسم :

- حتماً سيتكلم الصامتون . سوف يثورون . عما قريب ستسمع وترى الثورة . عندى معلومات مؤكدة أن الفرج قريب".

احتوته العيون الأربعة . انسالت منها عواطف جياشة فهرع إليهما وطَمْأن ، دون أن يهتم بالصوت المنتشى فى الشاشة المواجهة ، بل نظر إليها باستخفاف ثم نهض . وقف وودع قائلاً :

- سأتصل فى حال اضطررت إلى التأخير .. إلى اللقاء .

خرج حمزة دون أن يبوح بما يفكر فيه ..

(٥)

انفتح باب الغرفة الأخيرة فى الممر ليخرج منها جهاد ونجيب. أقبلا على الأنتريه فى خفة . ارتديا ملابس الخروج. إلى أين ؟! لماذا يخرج الأبناء الآن ؟ ، وإلى أين؟! ..

حيا كل منهما الوالدين وجلسا فى صمت .. أرسل الوالدان النظرات إليهما فى تساؤل مشوب بالقلق : جهاد المنتمى إلى "الجماعة المحظورة" . عنيف متشدد فى أفكاره مع الجيران . لا يكف عن مطالبة مريم وسائر الفتيات السافرات من الأقارب والجيران بارتداء الحجاب ..

استدعى أكثر من مرة إلى مباحث أمن الدولة ، واعتقل لمدة أسبوع بسجن المرج لاشتراكه فى مظاهرة ضمت عدداً من شباب دار العلوم والآداب ينتمون إلى الجماعة ، وناصر شباب كافة الحركات المناهضة للنظام الحاكم ، وشارك فى مظاهراتهم دون وهن لكن من خلف ستار .

"قال جهاد مرة فى جلسة مسائية جمعت الأسرة فى أنتريه الصالة التركوازى .. قال بتوتر واضح تبدى فى ملامح وجهه ، وبصوت مرتفع النبرة:

- الإسلام هو الحل .

وأضاف :

- جميع مشاكلنا لن تزول إلا بفكر إسلامى رشيد .

عقب عليه نجيب قائلاً :

- حلت دول العالم الغربى مشكلاتها بغير الإسلام .

فرد جهاد بحدة:

- تدهورنا راجع إلى ضعف التدين .

فقال نجيب بما يشبه الصياح:

- غياب الحرية سبب التدهور .

فعقب الأب فى صوت متهدج :

- تدهورنا راجع إلى غياب الأخلاق وضياع القيم .

أيدت الأم رأى زوجها قائلة :

- هل منع الإسلام مسلمين يقتلون كل يوم عشرات بل مئات المسلمين؟! .

فعقب ثابت:

- ٨٠% من قتلى المسلمين فى دول العالم بأيدى إسلاميين .. هل أنكركم "بالقاعدة" ؟! .

فقالت مريم:

- لن ينهض المجتمع إلا بالعدل الاجتماعى والصدق والرحمة .

فاحتد جهاد وهو يقف قائلاً :

- الإسلام هو الحل .

فقال حمزة الإبن الأكبر الذى جعل يراقب الحوار الساخن :

- الوطن يضيع ونحن لن نصل إلى حل حاسم .. الحل المؤكد فى ثورة شاملة مزلزلة تهدف إلى إعادة بناء النفوس وتربية العقول ..

نشط تفكير الوالدين . تأملا المشهد والكلام بقلق: **نجيب** أكثر إزعاجاً لهما .. كثيراً ما تستفز الحركةً التى ينتمى إليها – الشرطة ومباحث أمن الدولة . حركة "٦ إبريل" نشطة للغاية ، ويؤمن نجيب بأنها تقود الجماهير لإسقاط النظام الحاكم . كيف يطمئن ثابت وحياة على مصير الأبناء ؟! .. هاهما الشابان يغادران المنزل الواحد تلو الآخر بعد أن تناولا بسرعة فطائر صغيرة من طبق فوق منضدة الطعام مع كوبين من الشاى . ومريم طالبة الطب تتشدق دائماً بالمذهب الشيوعى وتدلل باستمرار على عظمة السياسيين الروس . كيف يطمئن الوالدان على مصير الأبناء؟!" .

(٦)

انفتح باب الغرفة الأخيرة بالممر لتخرج منه مريم وتتجه إلى الأنتريه . ترتدى البنطلون والجاكيت وتطوق رقبتها بكوفية بيضاء منقطة بدوائر صغيرة سوداء: الكوفية

الفلسطينية . حيّت الوالدين . قبلت كلا منهما . تطلعا إليها : جميلة صبوحة الوجه تشبه حياة الشاهد أيام الشباب ، ترى حياة فيها شبابها المتمرد الثائر . تشجعها وتدعو لها بالثبات . لكن قلب الأم ضعيف نحو مريم . حقاً لم تظهر ضعفها أمامها. لكن مريم تشعر به ، ولذلك فهى تطمئنها كلما غادرت المنزل وتأخرت عن طريق المحمول ، وتحرص على إرسال رسائل متفائلة ..

مريم تحب حياة وتحب ثابت المراسى .. أبواها . تفخر دائماً بهما : أبى فقد ساقه فى الحرب بينما كان يرفع العلم المصرى بعد أن أسقط العلم الإسرائيلى .. أمى ذات تاريخ مشرف فى الصمود مع أبى .. شاركته الغربة بالكويت . بعد الحرب بخمس سنوات أنجبتنى بالكويت مثل شقيقى جهاد ونجيب . عشت ونضجت بالكويت وعرفت وأدركت رغد الحياة فى الغربة . قضيت بالكويت حوالى عشر سنوات . فلما

أن عادت الأسرة نهائياً شعرت بالصدمة : صدمة الزحام وصدمة الأطفال البائسين .. اعتلى الفقر ورفرف على تلاميذ بلدى .. مدرستى بالكويت فاخرة ونظيفة والتلاميذ أغنياء . يأتون بملابس نظيفة . ويعودون بها نظيفة . النظافة فى الغربة تسود كل شيء ، قاعات الفصول ، الممرات ، ساحات الرياضة البدنية ، وغرفة الناظرة ..

هنا فى بلدى الصورة معكوسة فلماذا ؟! . تذكر أنها تمردت فى أول يوم دراسى ، ولازمها التمرد خلال سنوات الدراسة الإعدادية والثانوية : أريد لبنات وطنى صورة أفضل. أحب بنات وطنى، ولكننى أضيق بحزنهن وصمتهن وخوفهن. متى تتمرد البنات على الأوضاع السيئة؟ . إذا لم تتمردن في سنوات الدراسة الثانوية فلا أمل فى التمرد . ولسوف تخضع البنات وينتظرن التعيين والعريس . كيف يمكن أن تقبل مريم المراسى بحياة كهذه ؟! ..

قبل أن تغادر مريم الصالة إلى باب الخروج ألقت بنظرة على الرئيس المنتشى بالنصر الزائف والتزوير الفاضح..

تساءل ثابت فى نفسه بمرارة بعد خروج مريم : الحال غير مستقر ، والخارج يموج بأصوات الاحتجاج ، ولا مفر من التسليم بأن جميع الأبناء على حق ، وآراؤهم تصب فى حب وطن موشك على الضياع ..

لابد من وقفة صادمة صادقة من أجل وطنى ، وحانية عليه مثلما حدث عقب هزيمة ٦٧ : خمس سنوات مضت على الهزيمة. الشباب والكهول والشيوخ ينشدون إعادة بناء النفوس واستعادة الروح لتخليصها من فداحة الإحساس بالهزيمة ، حتى بات الخلاص الشغل الشاغل والهدف الأسمى إلى أن عبر الوطن الهزيمة وتجاوزها بحرب ٧٣. فهل يمكن استعادة الروح الآن ، واستحضار عزيمة المواجهة لإنهاض وطنى؟.. حاربتَ يا ثابت مع أقرانك بثورة ضد احتلال بغيض لسيناء ، فهل يمكن استعادة العزيمة الهاربة ؟ ..

(٧)

انداحت فى قلبه مشاعر القلق والخوف والحرص على الأبناء عقب خروجهم المحفوف بالغموض . شعر بفراغ كبير ضغط أعصابه . رغب فى التحدث عن مشاعره إلى أي أحد عدا حياة ؛ لا يريد أن يزيد من قلقها، ويضاعف من خوفها . تتظاهر أمامنا بالصمود والجلد بينما يمتلكها القلق على الأبناء والوطن ..

يتجلى القلق فى عينيك يا حياة ، وسهرك وسهومك كلما غابوا عن المنزل أو غاب أحدهم .. ربما يشغلك وجودى معك عن التفكير فى الغائبين بعض الوقت ، لكنك سرعان ما تعودين إلى مخاوفك التى كم أشعر بها أيضاً ، وإن كنت أجتهد فى إخفائها عنك . هل كتب على حياة الشاهد أن تعيش فى قلق عاصف إلى الأبد ؟! ..

كنت وأنت طالبة شابة بالجامعة مهمومة بسياسة الدولة التى لم ترض العارفين ببواطن الأمور وظواهرها . لم تكف

حياة عن المشاركة فى البحث عن طريق يخرج الوطن من مأزق الدكتاتورية أو حكم الفرد الذى يتظاهر بأنه نابع عن جماعية ديمقراطية ..

أحببت حياة الشاهد ، وأحببت كل من عرفك وتعامل معك واستمع إليك ؛ لأنك لم تركنى إلى السكينة أبداً . لم يكن بمقدورك أن تهدئى رغم ملاحقات الأمن، وتعسفاته المتكررة، وهجوم الخصوم وتحذيرات المخلصين ..

هاأنا ذا أراك الآن تستعيدين سيرتك الأولى رغم السبعين. هل يتحمل القلب السبعينى، والذهن السبعينى ضغوط الملاحقة ، وهموم المطاردة . قالت حياة منذ أيام :

- أشعر بأننى عدت شابة وأنا أرى وأسمع حماسة الأولاد.

فهل أنت قادرة على اتخاذ دور الآن ؟ . حقاً الرغبة عارمة لكن الجسم غير قادر على الحركة الواسعة .. وكم قلت لى وأنا مهمومٌ بما يجرى :

- لا تبتئس ولا تحزن .. أديت دورك، ودعهم يؤدون دورهم .

أعلم أنك مشفقة علىّ . مشفقة على ثابت المراسى الذى يجب أن يفضى بما يفكر فيه إلى أى أحد غير حياة الشاهد ، إشفاقاً على قلبها الحافل بالمخاوف والتوقعات .. ولن أفضى إلى أحد من أولادى ، فلهم عالمهم الحافل بأفكارهم المغايرة ..

(٨)

صحوت من نومى حوالى التاسعة على صوت تليفون بالصالة . تحركت من الفراش فاستيقظت حياة .. طلبت منها أن تواصل النوم وسوف أقوم بالرد على التليفون . رفعت السماعة على صوت حيانى فرددت التحية . قدم نفسه قائلاً:

- أنا الرائد رفيق شلبى من مباحث أمن الدولة فرع الجيزة..

طلب منى الحضور إلى المقر بشارع جابر بن حيان غداً السبت الساعة السادسة مساء ، وأضاف :

- آمل أن تشرفنا غداً بالإدارة .

سألته بصوت منخفض :

- ما سبب استدعائى؟! .

فسارع قائلاً :

- ستعرف السبب عند حضورك غداً .

وأضاف الضابط قائلاً :

- لن يستغرق اللقاء طويلاً .. مجرد استفسار سريع عن أمر يخصك . انتظرك فى السادسة مساء الغد .

(٩)

دخلت بسيارتى شارع جابر بن حيان لأول مرة .. مقر مباحث أمن الدولة . اجتزت حاجزين حديديين . أبرزت بطاقة الرقم القومى فى كل وقفة للجندى المدجج بالسلاح ، فأنا على موعد مع الرائد رفيق شلبى . تقدمنى فرد أمن بالملابس

المدنية . مشينا حوالى مئة متر ثم هبطنا إلى الطابق السفلى على درجات سلم دائرى .. حتى مكتب الرائد رفيق ..

استقبلنى بوجه بشوش بمجرد أن دخلت الغرفة ، وتعجبت ؛ كأنه رآنى ويعرفنى من قبل . طلب منى الجلوس بلهجة رقيقة فجلست بينما فتح ملفاً كان أمامه وراح يقلب فى أوراقه .. جعلت أنا أدير بصرى متوجساً فى المكان وبداخلى قلق متنام ، لا سيما أننى لم أخبر أحداً بهذا اللقاء لا بالموعد ولا بالمكان .. حتى حياة لم أخبرها . طبعاً سأفعل ذلك عندما أعود، وإن كنت أشعر أننى لن أعود بسرعة ؛ فمعلوماتى أن من يدخل مقر مباحث أمن الدولة لا يخرج منه بسرعة أو بسهولة ..

واصل الضابط النظر فى الملف الذى أمامه ورأيته يدقق فى أوراقه ورقة ورقة ، ثم قال بعد فترة زمنية لم أحددها:

- تحرياتنا تؤكد أن ابنيك حمزة ونجيب يمضيان فى طريق ليس فى صالحهما .. وبما أن الأوراق أمامى تؤكد أنك مناضل ومحارب وتحمل وساماً من وحدتك العسكرية أثناء حرب الاستنزاف – فإننى أدعوك إلى أن تتدخل لإقناع ابنيك حمزة ونجيب .

سكت الضابط قليلاً وتأملنى فى صمت ثم قال بلهجة هربت منها بشاشة المودة واللطف والرقة التى استقبلنى بها ، وقال :

- فإذا لم تستجب ، سنتدخل نحن بمعرفتنا.

نهض الضابط إيذانا بانتهاء المقابلة ، ومد يده للسلام ، فمددت يدى دون أن أتكلم، واستدرت نحو باب الدخول حيث يقف به فرد الأمن ذو الملابس المدنية ليتقدمنى إلى الباب الرئيسى للمقر الذى أفضى بى إلى الحاجزين اللذين عبرتهما بينما كان الجنديان المدججان بالسلاح فى مدخل كل حاجز .

قبل أن أبلغ سيارتى حدثت نفسى بأن الضابط سارع بالإفصاح عما فى داخله . جنبك البحث والفكر والتحرى ؛ فهو له مطلب محدد يتلخص فى إثناء حمزة ونجيب عن نشاطهما السياسى ..

عدت إلى المنزل وأنا أحمل فى قلبى عبء إخفاء الاستدعاء عن زوجتى وأبنائى - "إلى جابر بن حيان" ، والحوار الذى دار بينى وبين الضابط . رغم أن تحذير الضابط أصابنى بالرعب فإننى لم أحدث أحداً عن مباحث "جابر بن حيان". لم أبح بالتحذير إلى أحد. عاندتُ واعتبرت أن استسلامى لرعب إيذاء الأبناء - يمثل ضعفاً ووهناً لا يليق بثابت المراسى الذى يشعر دائماً أنه يمتلك فى مواجهة الظلم عناد الثيران..

ولأننى لم أبادر بالتحذير كما طلب الضابط أو أمر - فإن نجيب لم يعد إلى المنزل . غاب يومين . فى اليوم الثالث

من غيابه أدركت أن تنفيذ التهديد قد بدأ ، وأن عملية الضغط تمارسها المباحث دون مراعاة لأى شيء أو أحد..

(١٠)

حين هرعت إلى ابن خالتى فكرى صديق الضابط بالأمن العام – أفاد بأن نجيب فى أمن وأمان ، ولا داعى للقلق عليه .. مجرد إجراءات روتينية ثم يعود إليكم . لكن فى اليوم الرابع أخبرنى فكرى أن نجيب بمستشفى القبة العام يعانى من التهاب الزائدة الدودية .. لما سارعت لزيارته مع والدته لم نجده فى غرفته . قيل لنا أنه أصيب صباح اليوم بحالة عصبية مفاجئة فحاول الهروب من المستشفى بأن قفز من الطابق الرابع فسقط فوق الأرض ليلقى مصرعه فى الحال . صرخت دون أن يخرج صوتى ، وسقطت أمه مغشية عليها .. ثم همست لنفسى : الضابط الهمام نفذ وعيده بسرعة فائقة . ليس أمامى إلا العمل المتواصل ضد هذا النظام الجائر ..

(١١)

حضر أصدقائى زملاء الكتيبة (٥٠٠) التى شاركت فى حربى الاستنزاف و٧٣ . حضروا للعزاء لمواساتى بعد أن عرفوا بحادث وفاة ولدى نجيب . وبدا الغضب فى عيونهم وهم يشدون على يدى وكأنهم يعرفون سبب الوفاة . مصممون على أمر أنا فى الواقع أفكر فيه . لن يمر حادث نجيب مرور الكرام، لابد من الثأر له ولأقرانه ممن سقطوا تحت التعذيب أو فى المظاهرات أو فى حوادث غامضة. لابد من الثأر لهم . لابد من الحديث مع أصدقاء عمرى وزملاء الحرب . فهموا ما أفكر فيه وأنا أودعهم يوم العزاء . لم أزرف دموعاً. لم تسل من عينى دمعة واحدة ؛ فقط داخلى كان يبكى . كان صوت بداخلى يمنعنى من إظهار صوت بكائى . كنت أفكر أثناء تقبل العزاء وبعده فى كيفية الثأر لنجيب ولأقرانه من الشباب . لكن الصوت بداخلى أمرنى بأن التقى بزملائى القدامى ، والحديث

معهم بعيداً عن زوجتى حياة التى تتعرض الآن لهجمة قلق عاصف على باقى الأبناء الذين لم يكفوا عن العمل . زادت نسبة مشاركتهم فى التظاهر بعد أن عرف أصدقاؤهم بالخبر الرهيب. لا أظن أن حياة ستنجو من عواقب القلق العاصف ..

(١٢)

رغبت بشدة فى لقاء زملائى : أجريت الاتصال بهم . حقاً لا نلتقى كثيراً لكن الاتصال التليفونى يتم فى الأعياد الدينية والوطنية .. توالت الأعوام منذ نهاية حرب ٧٣ فأحدثت تغييرات فى ملامح الوجوه وفى الرؤوس . لكن عواطف الحب واللهفة على التلاقى لم يؤثر فيهما تعاقب الأعوام : جودة البنهاوى رئيس مجلس إدارة شركة البناء والتعمير ، والسفير المتقاعد زكريا العباسى ، وشعبان الفيومى صاحب شركة استيراد اللحوم ، والدكتور مهندس سامى تادرس ، ومسعد الخواص صاحب شركة مجموعة سيارات الغربية ، والدكتور

ناجى عزيز أستاذ الأنثربيولوجيا بآداب القاهرة والمحاضر فى كلية اللاهوت ، وجمال الهوارى صاحب شركة اتصالات الذى فقدناه منذ عام فى حادث غامض ، وعبد التواب السويفى صاحب شركة السويفى للملابس الجاهزة ، والدكتور سليمان الدمياطى أستاذ الفقه المقارن . عمل لسنوات طويلة بالسعودية فى جامعة الإمام بالرياض ، وهو الآن يحاضر فى كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر ، ومعهد الدراسات الإسلامية..

أجريت الاتصال بهم ، ودعوتهم إلى اللقاء بمكاننا المعهود بكازينو قصر النيل الساعة الحادية عشرة صباحاً. وافقوا جميعاً على الفور ودون تردد . نقطن جميعاً فى الجيزة هم فى الدقى والمهندسين ، وأنا فى حدائق الأهرام ..

(١٣)

هاأنا ذا أسبق الرفاق قبل الموعد المحدد بعشر دقائق إلى الكازينو النيلى المجاور لكوبرى قصر النيل العريق . الكازينو مزدان بالأشجار ، وأحواض الورود والزهور .

التفت قبل أن أبلغ الباب إلى الأسدين المتحفزين كحارسين . الأول يجاور مدخل الكازينو . قصدت مكاننا المعهود . جلست فى مقعد الصدارة خلف المائدة الدائرية لأراهم عندما يتوافدون. جمعنا المكان فى مناسبات : الاحتفال بذكرى حرب ٧٣ ، وبأعياد ميلادنا ، وبإحالة البعض إلى المعاش ، وبمن عاد من سفر دبلوماسى طويل ، وبنشر كتاب لأحدنا ، وبحصول أحدنا على جائزة محلية أو عربية علمية أو أدبية..

كم طوفنا بأحوال الوطن المحكوم "بقوة مسيطرة" سادها فساد عارم فشلت فى إخفائه والحد من انتشاره وتناميه. وكم اتفقنا على إعلان الاحتجاج فى تظاهر سلمى أولاً ثم المواجهة بالصدام مع السلطات الرئاسية والأمنية المتعاقبة . لكن سرعان ما كنا نتراجع بفتور عزائمنا ووهن أجسامنا ..

وكيف لا يحدث التراجع ونحن صحونا ذات يوم منذ عام على خبر اختفاء زميلنا السبعينى جمال الهوارى؟!..

اختفى لمجرد أنه دعا إلى "إصلاح جاد وتغيير حقيقى" فى قناة دريم، وفى صحيفة اليقظة المستقلة ، فكان عقابه أن اختطف فى وضح النهار وهو يمشى قاصداً مسكنه بشارع مصدق بالدقى ، فلم يعد إليه حتى الآن ..

شهد الواقعة عدد من المارة وأصحاب المحلات بأن سيارة تحمل أرقاماً تبين أنها مزورة توقفت بالقرب منه ، وهبط منها رجلان بملامح صارمة وأرغماه على دخول السيارة التى انطلقت بسرعة فائقة أمام دهشة الشهود وتعجبهم..

الحق أننا جفلنا من المصير المفاجئ فتراجعنا مؤقتاً عما حلمنا به وفكرنا فيه . لكن ما لبثنا أن قررنا تكوين جمعية محاربى "٧٣" ، لمواجهة شراسة السلطة الحاكمة بالمناقشة الهادئة وبالإقناع ، لا سيما أن "مراقبات أمنية" وضعتنا تحت المجهر ، وأن رسائل تهديد وضعت فى صناديق بريدنا المنزلى، وجاءت عن طريق تليفوناتنا المحمولة . كم تساءلت:

كيف يمكن الاستمرار فى الصمت والأبناء والأحفاد معرضون للتصفية مثلما حدث لنجيب ، وإلى الإخفاء مثلما حدث لصديقنا جمال الهوارى؟! ..

هاهم رواد جاءوا فى ثنائيات يدخلون الكازينو ، ويتخذون أماكن متباعدة بعيدة عن مكاننا المعهود .. وهاهو العقرب يدنو من الموعد . كم أحن إلى لقاء الرفاق . اللقاء يجدد الخلايا ، وينشط الذاكرة ، ويلطف من حرارة الجو لو كان اللقاء صيفاً، ويدفئ الأجسام إذا جرى اللقاء شتاء ..

هاهم يتوافدون من الباب المقابل واحداً واحداً . أنهض لاستقبالهم بحرارة ، ويجرى عناق المحبة والانتماء ، ويأخذ كل منهم مكانه فشكلنا جلسة دائرية . تبادلنا التحية والسؤال عن الصحة والأحوال ، ثم حل علينا صمت بدا صاخباً ؛ فلدى كل منا كلام .. ثم وجدتنى أقطع الصمت بصوت منخفض وأنا أتلفت حولى يميناً ويساراً :

- استشرى الفساد ، وتغول البلاء .

فأضاف جودة البنهاوى بعبارة بدت حلاً للمشكلة :

- ووجب إعلان الاحتجاج دون خوف أو حذر.

فقال الدكتور سامى تادرس :

- أوافق على إعلان الاحتجاج. لكن يجب، إشهار جمعية محاربى ٧٣، قبل أن يجرى الاحتجاج.

وقال شعبان الفيومى:

- تذكروا أننا فوق السبعين.

فسارع الدكتور ناجى عزيز قائلاً:

- حماية الوطن مطلب مقدس.

فأكد كلامه مسعد الخواص:

- الوطن قبلة جميع الأعمار والطوائف.

وقال السفير زكريا العباسى:

- الوطن يدعونا الآن إلى الخروج والمشاركة فى التظاهر السلمى..

وقال الدكتور سليمان الدمياطى:

- أرى ألا نبادر بالاحتجاج . فلننتظر . حتى إذا نجح الاحتجاج العام شاركنا فى التظاهرات .

قلت فى نفسى: سليمان يتبنى وجهة نظر "الجماعة المحظورة" ؛ فهو ينتمى إليها . كم تجادلنا حول سياستها غير المريحة ..

وجاهر الدكتور ناجى بقوله:

- لا أوافق على رأى الدكتور سليمان . لابد من المشاركة و..

فجأة توقف الدكتور ناجى عن إكمال عبارته ، ليحدق فى شابين احتلا منضدة قريبة من مجلسنا الدائرى ، تظاهرا

بأنهما لا يراقبان . لكن خبرتى ذات الإحساس الدائم بتوقع الخطر –جعلتنى أتأكد أنهما من مباحث أمن الدولة جاءا للمراقبة.. ربما عرفا بموعد لقائنا عن طريق التنصت. فالتنصت على التليفونات الأرضية ، والتليفونات المحمولة صار حقيقة لا يخفيها المسئولون كثيراً . الجميع يعرف أن الأمن يتنصت على جميع المكالمات ، بل إن الأمن سلط بعض المواطنين على بعض للحصول على معلومات تفيد فى إقرار النظام وتمكينه ، وتخدم تطلعاته وقرارته ..

لزم الجميع الصمت لدقائق.. ثم قطعتُه بطرح موضوع للنقاش غير سياسى ، يتصل بضرورة تواصل المعارف والثقافات بما يسمى (العولمة) أو ضرورة الانفتاح باستمرار على الفكر الآخر . ثم تعمدت رفع صوتى قائلاً :

– الحوار مع الآخر: الغربى أو الشرقى يثرى الفكر ويغذى الروح الإبداعى .

يبدو أن مسعد الخواص لم يلاحظ ما لاحظه الدكتور ناجى ، لأنه صاح بإنفعال :

- لا يجب تغيير الموضوع . علينا أن نواصل الكلام عن مصير رهيب ينتظر الوطن .

أشرت بخفة وبسرعة إلى الشابين الجالسين بالقرب منا إشارة ذات مغزى فهمها مسعد فسكت . لم يضف أحد كلمة . تبادلنا فقط النظرات ، ووجهنا جميعاً الوجوه ناحية الشابين ، فغادرا المكان إلى خارج الكازينو. شيعناهما بنظرات الارتياح، بينما لاحظت وجوم الدكتور سليمان عقب مغادرة الشابين..

سرحت بذهنى لدقائق .. (خالطت ذهنى صورتى وأنا أجلس منذ شهور فى حديقة نادى الرماية بالهرم مع زوجتى ونحن نتناول عصير البرتقال ، وأمامنا شاشة تليفزيون كبيرة بها عنوان "حديث المدينة" إعداد الصحفى المحاور الشهير مفيد فوزى . رأيته وسمعته يسأل وزير الداخلية حبيب العادلى:

- يقال أنكم تراقبون تليفونات المواطنين .. هل حقاً تراقبون تليفونات المواطنين؟! .

فأجاب الوزير بثقة استفزازية :

- نعم جميع التليفونات تحت المراقبة .. واللى خايف ميتكلمش .

بدت فى عينى مفيد فوزى معانى الهلع والاستياء والغضب ، فصحتُ بصوت سمعته حياة ، وبعض جلساء الموائد القريبة :

- نحن فى دولة بوليسية . المؤكد أن نظام الحكم بوليسى بحت» .

حدثت رفاق المائدة الدائرية بصوت خفيض لا يكاد يسمعه أحد :

- طبعاً سمعتم وشاهدتم تصريح العادلى فى حديث المدينة، ولا داعى لأن أكرر ما سبق أن شاهدناه

وسمعناه. لكن علينا أن نخاف على الأولاد . يجب أن نخاف عليهم .

فانبرى سامى تادرس:

- الخوف.. الخوف.. الأولاد الشبان يواجهون الأمن المركزى بصدورهم العارية دون خوف ، وأمام القضاء العالى ، وفى ميدان طلعت حرب .. يا سادة : نحن نسجل على أنفسنا الخنوع والخضوع . علام نخاف !، ومم نخاف ؟!. وممن نخاف ؟!.

فقال شعبان الفيومى:

- نخاف من الإهانة ، والمطاردة ، والتلفيق ، والتضييق على الأرزاق .

فعزز قوله سامى تادرس :

- أمن الدولة نشط جداً ، ويأخذ الناس بالشبهة ، وبالشكوى الكيدية .

فجأة نهض الدكتور سليمان ، وأدار بصره فى المكان ثم أستأذن وانصرف بسرعة واضحة ..

(١٤)

دق جرس التليفون بغرفة مكتبى فى العاشرة صباحاً . رفعت رأسى من كتاب "حتمية التغيير العالمى" للكاتب الألمانى مارك فيلكس . صاحبنى الكتاب منذ يومين . ذكرنى بدعوة الدكتور محمد البرادعى التى سكنت القلوب والعقول منذ عامين . نهضت من مقعدى ومشيت مغادراً غرفة المكتب إلى الصالة . رفعت السماعة . على الطرف الآخر السفير زكريا العباسى . بدا صوته مهموماً ومتوتراً . تساءلت : هل يتعلق الهم والتوتر بولديه بشير ومنير؟.. اقترح أن نتقابل لكى نتكلم. دعوته إلى منزلى بحدائق الأهرام . قال:

- سأكون عندك فى الحادية عشرة والنصف صباحاً .

- وأنا فى الانتظار.

حدثت نفسى بأن علاقتى بالسفير زكريا العباسى وطيدة امتدت ست سنوات منذ التقينا فى بداية تجنيدنا بالهايكستب للتدريب المبدئى فى يناير ٦٨، وحتى تخصصنا على سلاح واحد فى الأساس الرابع بالمعادى لمدة خمسة شهور ، إلى أن جاء توزيعنا على الجبهة باللواء ١١٨ مش ميكا . تشرف كتائبه على القناة جاء إلحاقى بـ"ك٥٠٠" ، التى ترابط أمام خط بارليف على الضفة الأخرى . بينما ألحق هو على ك٥٠١ . التقينا فى نهاية ٧٥ بالكويت أثناء عملى بجريدة السياسة اليومية ، بينما شغل هو سكرتيراً ثانياً بالسفارة المصرية . عدت إلى القاهرة فى نهاية٧٧ لاستلام عملى مدرساً مساعداً بكلية الأداب جامعة القاهرة . رجعت إلى الكويت عام ٨٣ معاراً إلى كلية الأداب جامعة الكويت ، ثم عاد إلى الكويت عام ٨٧ ليشغل منصب نائب القنصل.. ليتواصل لقائى به طوال عام ٨٧ حيث انتهت فى نهايته فترة إعارتى

لأعود إلى مصر.. نحن دائماً على اتصال ، ونلتقى بانتظام منذ عام ٢٠٠٧ حين بدأنا نقترب من السبعين بكازينو قصر النيل، أو بنادى الرماية ، أو بمنزلى بحدائق الأهرام ..

ما إن وضعت السماعة حتى دق جرس التليفون . كان المتصل مسعد الخواص . ثم تتابعت أصوات شعبان الفيومى ، وسامى تادرس ، وناجى عزيز ، وجودة البنهاوى ، وعبد التواب السويفى ، وسليمان الدمياطى . بدا فى أصواتهم التوتر عدا صوت سليمان ، فدعوتهم إلى الحضور إلى المنزل فى الثانية عشرة ظهراً ..

أغلقت الكتاب وشردت فى الأصوات المتوالية . فكرت فى أن الاتصال المتعدد ليس بعيداً عن دائرة المراقبة ، التى تلاحقنا وتلاحق أى تجمع تثبت التحريات أنه خطر على النظام الذى يزمع الاستمرار بالوريث ابن الرئيس ..

حضر السفير زكريا فى الموعد المحدد فى الحادية عشرة والنصف . استقبلته بترحاب بالغت فيه . بدت

فى ملامح الوجه كآبة سببها – كما أتوقع – أسهده وطيّر النوم من عينيه . قبل أن نحتسى الشاى المعطر الذى يفضله قال بصوت متهدج :

– حذرنى أمس قريب لى عقيد بالأمن العام .

فتساءلت :

– مم التحذير؟ .

– من أننا جميعاً تحت مراقبة مباحث أمن الدولة .

فسارعت إلى القول :

– هل تم استدعاؤك بالمقر؟ .

– لا .

– توقع الاستدعاء . سبق وأن استدعيت. سوف يضغطون عليك ببشير ومنير لنشاطهما السياسى .

بدت فى وجهه ملامح الدهشة ، وتساءل :

- هل كان لاستدعائك علاقة بحادث سقوط نجيب؟ .

- تقصد اغتياله . نجيب قتل بيد جهنمية دفعت به من الطابق الرابع .

- لم تخبرنا بذلك .

- كان علىّ أن اتحرى وأتأكد ، وقد تأكدت . يبدو أن أصدقاءنا تعرضوا لضغوط أيضاً ؛ فقد اتصلوا بعد اتصالك ، فدعوتهم إلى الحضور هنا فى الثانية عشرة، سوف يتوافدون بعد قليل .

رن جرس الباب رنتين. عقب الرنين الأول دخل جودة البنهاوى ومسعد الخواص .. وعقب الرنين الثانى جاء الدكتور ناجى عزيز ، وشعبان الفيومى ، والدكتور سامى تادرس، وعبد التواب السويفى، والدكتور سليمان الدمياطى..

هاهم الثمانية قد حضروا فشعرت بدفء الارتياح ، وإن حزنت لفقد جمال الهوارى المختطف منذ عام . كم

أمضينا الساعات الطويلة طوال حربى الاستنزاف و٧٣ . جمعتنا معارك ك٥٠٠ . كلٌ فى تخصصه فى أوقات واجهنا فيها صواعق المدافع وهجوم الطائرات . بقينا نحن التسعة أحياء بعد أن فقدنا فى نهاية عام ٧٢ ثلاثة أصدقاء : رمزى الحديدى ، وفكرى الجبالى ، وعدلى قلدس .. سقطوا فى هجوم جوى مباغت بصواريخ مباشرة ..

قطعتُ الصمتُ الذى ران على الجلسة الدائرية بقولى :

- البلد محكومة بقوة قمع خطيرة .

فعقب الدكتور سامى :

- يتواصل القمع لو لم نواجهه جميعاً .

"تذكرت قول ابنى الأكبر حمزة :

- الانفجار ضد النظام وشيك. والمشاركة الجماعية تعجل بإسقاطه" .

وسمعت فى أذنى صوت نجيب يقول : لابد من إسقاط النظام كله ، ورأيته وهم يدفعونه فى الظلام من نافذة غرفة المستشفى . أُسقط نجيب من الطابق الرابع . هل يمكن نسيان الجريمة المدبرة؟ ..

عدت إلى متابعة الرفاق بقلب داخله قدر من التفاؤل ، فحدثت نفسى بأن المشاركة فى التظاهر مع الشباب ضرورية. يحتاجون إلى دعم من كافة الأعمار. لم يعد مقبولاً على الاطلاق الاكتفاء بتأييد صامت لا يلبث أن يزول . لابد من الجهر بالمطالب والإعلان عنها فى مظاهرة هنا أو هناك فى هذا الميدان أو ذاك . لكل منا أبناء ينتمون إلى تيارات سياسية متعددة . يحتاجون إلى المساندة بغير النصح والإرشاد والتأييد الكلامى. يحتاجون إلى أفعال. يحتاجون من المسنين الانضمام إليهم لتأدية دور فعال يشعرون به ويلمسونه .. يبدو أن ما فكرت فيه اطلع عليه الدكتور ناجى عزيز لأنه قال:

- لا يمكن أن نظل نتحدث ونتحدث دون تحرك. لابد من الخروج فى مظاهرات اليوم وغداً، وبعد الغد، وبعد بعد..

عقب مسعد الخواص مؤكداً كلام الدكتور ناجى عزيز:

- فعلاً.. لابد من التحرك للمواجهة مهما حدث.

وقال الدكتور سامى تادرس :

- لا فائدة من الانتظار بعد ما اتفقنا.. يجب دعم الأبناء.. يحتاجون إلى المساندة.

وقال السفير زكريا العباسى :

- الانتظار معناه أننا موافقون على ما يجرى . لابد من الخروج لدعم الشباب الثائر .

صحت قائلاً :

- لابد من الخروج لدعم الشباب الثائر .

وقال عبد التواب :

- أولادنا جميعاً ضمن الشباب الثائر .

وقال جودة البنهاوى :

- ونكون أمامهم، وخلفهم ، وبجوارهم .

وقلت :

- المهم أن يتأكد الجميع أن السبعينيين والستينيين قادرون وقادمون، ومشاركون دون خوف من اعتقال أو تنكيل..

لاحظت أن الدكتور سليمان الدمياطى غير متحمس لفكرة المشاركة الصريحة ، فهو يفضل التروى والانتظار .. كم سمعته يقول فى التليفون : لا يجب أن نبادر بتأييد التغيير ولا بالخروج على الحاكم . قال بصوت منخفض :

- علينا أن نتنظر حتى تظهر نتيجة التظاهر .

هانحن قد تعاهدنا على نصرة الأبناء ، ولا تراجع عن عهد يجب رعايته وحمايته والمحافظة عليه .. وهانحن نتصافح مصافحة الوداع المؤقت لمغادرة الكازينو النيلى ..

تمتلكنا عزيمة تصميمية بدت فى ملامح الوجوه، ونظرات العيون.. ويحق لثابت المراسى أن تسعد نفسه بما أنجزه اليوم، فلحظة الإطاحة بالنظام أصبحت وشيكة. ولتطمئن روح نجيب المراسى الذى اغتيل فى الظلام بيد جهنمية ، وإن كان عليك يا ثابت أن تديم التفكير فى أسلوب المشاركة ..

(١٥)

بعد أن غادر الأصدقاء المنزل فكرت وهمست : عقب انتهاء الحرب افترقنا على اتفاق بتواصل اللقاء . تواصلنا بالتليفون ، وبالرسائل وأحياناً باللقاءات المباشرة . ورغم تنوع مجالات أعمالنا كنا حريصين على اللقاء .. يجمعنا تاريخ حركة حيوية متطلعة طموحة انطوت عليها نفوسنا وعقولنا :

ثابت المراسى : تابعت دراساتى الأكاديمية فى فبراير ٧٤ بعد تسريح دفعة يناير ٦٨ .. فسجلت موضوع ماجستير عام ٧٥ فى علم الاجتماع قبل سفرى إلى الكويت للعمل فى صحيفة السياسة ، ثم عدت إلى مصر لاستلام وظيفة مدرس

مساعد عام ٧٧ بقسم اجتماع آداب القاهرة ، ثم حصلت على درجة الدكتوراه عام ٧٩ وعينت فى وظيفة مدرس بقسم الاجتماع .. ثم تمت إعارتى إلى الكويت عام ٨٢ ، فى وظيفة مدرس علم الاجتماع السياسى ، ثم حصلت على وظيفة أستاذ مساعد علم الاجتماع السياسى عام ٨٤ . بعد خمس سنوات أى فى عام ٨٩ رقيت إلى وظيفة أستاذ علم الاجتماع السياسى.

شهدتُ فى شهر فبراير عام ٨٦ أثناء حضورى إلى القاهرة للمشاركة فى مؤتمر دولى نظمته جامعة عين شمس . شهدتُ فى ذلك العام تمرد الأمن المركزى بمعسكره بطريق الإسكندرية الصحراوى ، واندفاع الجنود لإثارة الشغب بشارع الهرم .. وعززت ضاحية الطالبية المكتظة بالسكان التمرد الغاضب بالمشاركة ، وإشاعة الفوضى، فتدخل الجيش بأمر رئيس الدولة حسنى مبارك ، وتم قمع التمرد كما سمعت بقسوة ووحشية ، فبدأت أعيد النظر فى سياسة الرئيس الذى

كشر عن أنيابه وأفصح عن وجهه الحقيقى بعد خمس سنوات من توليه منصب رئيس الجمهورية..

جودة البنهاوى: أول إجراء اتخذه بعد خروجه من الجيش هو بيع ثلاثة فدادين من أرضه بكفر شكر بالقليوبية ، وشارك بثمنها فى شركة "مقاولات القليوبية للبناء والتعمير" لمدة خمس سنوات.. ثم آلت إليه الشركة بعد أن توفى شريكه، فواصل العمل بكل همة حتى نمت وتفرعت .. ثم انتقل إلى الدقى بالجيزة فصار من كبار مقاولى البناء فى مصر.. سانده بالمشورة والعمل فى نمو الشركة وازدهارها وتوسيع نشاطها أبناؤه الثلاثة رشدى ومروة وكمال :

أما رشدى فهو صحفى لامع بصحيفة الكشاف . له جولات صحفية مشهورة . يتمتع بحس وطنى عال . استدعى مرات لأمن الدولة لصراحته التى تناولت "استيلاء نخبة" من السياسين ورجال الأعمال على أراضى الدولة ، و"موضوع

التوريث" الذى يسعى إلى إقراره شباب الحزب وشيوخه للمحافظة على مصالحهم ..

وأما مروة فهى تجاهر بانتمائها لحركة "كفاية" ، وهى تشغل وظيفة مدرس بقسم النظم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية . كم شاركت فى التظاهرات ، وأحياناً قادتها عندما كانت طالبه بالكلية ، فلها خبرة فى التظاهر ، وتوصيف المطالب، ولم تنج من المراقبة الأمنية حيث جرى اعتقالها عدة مرات ..

ولم يكن كمال بعيداً عن النشاط المناوىء للنظام الحاكم. ينتمى إلى حزب الوفد الجديد . تخرج فى آداب عين شمس قسم التاريخ ، ويشغل به وظيفة أستاذ مساعد . حرض طلابه على رفض القمع الذى تمارسه شرطة الجامعة ضد التظاهر السلمى داخل الحرم الجامعى ، بل إنه شوهد أكثر من مرة وهو يقود الطلاب الذين يطالبون بتحقيق العدالة ، ويرفضون فكرة التوريث الذى يروج له شباب الحزب الحاكم وشيوخه ..

عندما جرى الاعتداء بالهراوات على طالب بالهندسة وتوفى على أثر ذلك – نظم كمال مظاهرة حاشدة من الطلاب فتجاوزت بالقوة أسوار الجامعة . لكن تم وقفها وقمعها فى ميدان العباسية . يحمل فى قلبه دائماً قراراً لا يمكن أن ينسى بضرورة الثأر من الشرطة ومن الحزب الحاكم . لم يشأ والده أن يمنعه من الفكر الثورى ، لأنه مقتنع بما يقوم به ، وإن كان فى الوقت نفسه يشعر بقلق بالغ يخفيه فى قلبه ولا يصرح به ..

الدكتور ناجى عزيز : أستاذ الانثروبولوجيا فى قسم علم الاجتماع بأداب القاهرة عمل بالجامعات المصرية والعربية. وطنى ثائر . عاش فترة صباه وشبابه فى مدينة طنطا التى يراها أفضل مدن مصر . تزوج من عايدة سيدهم الطنطاوية وله منها ابنان : سائد وسميح ..

أما سائد فهو خريج الجامعة الأمريكية بالقاهرة . أوفدته الجامعة إلى أمريكا لاستكمال دراساته فى الاقتصاد.

يعمل بها فى وظيفة مدرس .. ومنذ أن عاد من أمريكا وهو غير راض عن أحوال الدولة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . يودع آراءه فى مقالات ينشرها فى جريدة الحياة ، وبعض الصحف المستقلة مثل صحيفتى صوت الأمة والدستور ، وقد سهل على حركة ٦ أبريل أن تضمه إليها عضواً فاعلاً ..

وأما الابن الثانى سميح : فهو خريج معهد السينما بأكاديمية الفنون بعثه المعهد إلى باريس للحصول على شهادة فى الإخراج السينمائى . أستاذ مساعد بمعهد السينما . منذ أن عاد إلى أرض الوطن وهو غير راض عن حركات القمع والضغط والترويع التى يمارسها جهاز الأمن ، فانضم إلى حركة التغيير التى نادى بها منذ عامين الدكتور محمد البرادعى ، آمن سميح بضرورة التغيير والمشاركة الفعالة ، وحول فكره إلى إخراج أفلام رامزة أحياناً وصريحة أحياناً أخرى ، تهاجم نظام الحزب الحاكم ..

مسعد الخواص : عاد إلى قريته القرشية القريبة من مدينة طنطا بعد ثلاثة أشهر من نهاية الحرب . عمل ملاحظاً فى شركة "سيارات الغربية" لمدة ثلاث سنوات . أظهر خلاله مهارات فى استقبال العملاء وحسن التعامل معهم ، فضلاً عن أمانته فجعله صاحب الشركة مديراً للمبيعات خاصة بعد استئناف دراسته وحصوله على بكالريوس التجارة .. فكر بعد حصوله على المؤهل أن يستقل بمعرض خاص به ، فباع من الفدادين الخمسة التى ورثها عن أبيه ، ثلاثة أفدنة ، وفتح معرضاً فى مدينة طنطا بشارع الجيش أطلق عليه شركة "طنطا للسيارات" ، ثم غادرها إلى الجيزة ليؤسس بعد عامين شركة "طنطا لتجارة السيارات" بضاحية المهندسين بالجيزة ..

سرعان ما انهالت عليه بعد شهور قليلة عدة توكيلات مثل: جنرال موتورز ، وتويوتا ، ونيسان ، وغيرها . تعاون معه أولاده الثلاثة أحمد وحسن وحلمى عقب تخرجهم من كلياتهم :

الابن الأول أحمد : أنهى دراسته بكلية التجارة جامعة القاهرة، فتولى حسابات الشركة . يميل للدعة والهدوء. تزوج سريعاً وأنجب بنتين ولا شأن له بالسياسة .

والابن الثانى حسن : خريج هندسة عين شمس قسم اتصالات ، مناوىء ومحرض على مهاجمة الفساد والمفسدين فى كافة الإدارات الحكومية وغير الحكومية . يتواصل مع أقرانه عن طريق الفيس بوك ..

يقلق والده بسبب الجهر بأفكاره الثورية ، لكنه لم يمنعه من التصريح والتحريض، لأنه يجد فى كلامه الصدق والحق..

وأما الابن الثالث حلمى فهو خريج كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان . كم عبر بلوحاته التى اشترك بها فى معارض محلية ودولية عن غضبه واستيائه من الوضع السياسى للحزب الحاكم ، وكم حمله بالتصوير الفنى مسئولية التدهور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للدولة ..

الدكتور سامى تادرس : كان يجاور ثابت المراسى عندما رفع العلم المصرى بعد إسقاط العلم الإسرائيلى أثناء اجتياح خط بارليف . أصابته رصاصات جنود موقع حصين أثناء "عملية العلم المشهورة" . تحامل على نفسه وهو يحمل ثابت المراسي وينزل به من فوق التل لإسعافه ، بينما كانت تسيل من ذراعه وظهره الدماء التى رآها ثابت وهو يدنو من غيبوبة النزيف ..

بعد انتهاء الحرب بعام استأنف المهندس سامى دراسته العليا بجامعة عين شمس ، وحصل منها على درجتى الماجستير والدكتوراه . واصل أبحاثه التى أهلته للحصول على درجة الأستاذية منذ خمسة عشر عاماً . تزوج من زميلته الدكتورة مارى يعقوب المدرس بقسم الإنشاءات .. وأنجب سامح وفادية..

أما سامح : فتخرج فى كلية الحاسابات والمعلومات جامعة عين شمس ، ويعمل بها مدرساً . يشارك فى موجة

الاعتراضات مع متظاهرى الجامعة وميدان طلعت حرب ، وقد شجت رأسه أمام باب الجامعة بيد شرطى أمن مركزى يوم جرى الاعتداء بالهراوات على حمزة المراسى بأمر ضابط متشدد رفع صوته قائلاً : "هذا زعيمهم . اضرب الزعيم لينصرف الجميع" . يجمعه بمريم قصة حب نامية ..

وأما الابنة فادية : فهى صحفية بجريدة "الضياء الكاشف" المستقلة . تكتب مقالات مضادة لسياسة الحزب الحاكم .. وكلما سمعت عن مظاهرة هنا أو هناك بادرت إلى المشاركة بدافعين : الأول شخصى كاره للنظام الفاسد ، والثانى مهنى لتغطية الحدث وإرساله للصحيفة .. مزق بلوزتها أمام نقابة الصحفيين شاب قوى البنية ، وعرّى كتفيها أمام المتظاهرين الذين بادروا بمواجهة فاعل اندس بينهم ، وخلع بشير العباسى قميصه وسترها به . بشير وفادية متفاهمان على الزواج ..

صور المشهد أحد المتظاهرين بهاتفه المحمول .. لم يمنعها الحادث من تكرار المشاركة مع أى حركة سياسية

تتظاهر . سيان عندها حركة كفاية ، أو حركة ٦ أبريل ، أو الجمعية الوطنية للتغيير ، أو حزب التجمع .. بل زادت نسبة المشاركة . رغم خوف الدكتور سامى عليها فإنه يثنى على موقفها الوطنى لأنه يواصل تأييد مشروع ، ضرورة إسقاط النظام ..

عبد التواب السويفى : أميّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة. بعد الحرب عاد إلى قريته ببنى سويف تزوج من ابنة عمه فردوس المؤهلة بشهادة الإعدادية والموظفة فى شركة ملابس جاهزة بالمدينة ، وأنجبت منه ثلاثة أبناء فى خمس سنوات . لم ترض فردوس لعبد التواب أن يكون مجرد مزارع فى أرض والده الحاج رمضان ، فأقنعته بأن يعمل معها فى الشركة ، عينه صاحب الشركة بائعاً فى قسم الرجال، سرعان ما وثق فيه لجديته وأمانته ومهارته ، فأسند إليه بعد مرور عام الإشراف على أقسام الأطفال والنساء والرجال . أبدى عبد التواب للرجل رغبته فى أن يكون شريكاً فى شركته . وافق

الرجل الذى كان يعانى من ضائقة مالية ، ثم مالبث أن توفى بعد عام . عرض عبد التواب على الورثة شراء الشركة بعد أن أقنع والده الذى سرعان ما أعطاه المبلغ المطلوب ببيع ثلاثة أفدنة .. واتخذت الشركة عنوان "شركة السويفى للملابس الجاهزة". أنجبت فردوس ثلاثة أبناء مجدى وشوقى وابتسام حرص الزوجان على إتمام تعليمهم العالى . انتقل بأسرته إلى ضاحية الدقى بالجيزة بعد أن افتتح بها المركز الرئيس للشركة ..

أما مجدى : فقد تخرج فى كلية الإعلام قسم صحافة . ينتمى إلى الجماعة المحظورة ، وهو حانق على المجتمع والجيش والشرطة ، ويؤمن بضرورة إحلال الدولة الدينية ، ويسعى إلى إرساء فكرة إحياء الخلافة ، وينادى دائماً بأن الإسلام هو الحل لجميع المشاكل الراهنة . لا يكف عن الاشتباك باليد مع من يخالفه الرأى ، ويقول دائماً إن الدولة الدينية قادمة رغم أنف الجميع ..

وأما شوقى : فهو على النقيض . هادىء مسالم يحمل فى قلبه حباً عميقاً لوطنه . يعمل بوظيفة مدرس بقسم اللغة الإنجليزية بأداب القاهرة . غير متعصب . يؤمن بالمواطنة يعيش قصة حب مع مريام صبحى لا يرضى عنها شقيقه الأكبر مجدى ، لأن مريام مسيحية . هاجمه ويهاجمه بقوله دائماً : تريد أن تتزوج نصرانية ؟ . ويحتد عليه شوقى بقوله: يكفى أنها مؤمنة ، وعفة اللسان ، وتحبنى ، وتقدر الإسلام . ومرة سأله مستنكراً : هل حرم الإسلام الزواج من مسيحية . مريام مشهود لها بالصدق لا تكذب . عندئذ اندفع مجدى وقام بالاعتداء على شقيقه فتدخلت الأخت الصغرى ابتسام ، وهدأ من ثائرته أبواه . جمعت حركة كفاية شوقى ومريام فشاركا فى مظاهرات أمام دار القضاء العالى ، وميدان طلعت حرب، ونقابة الصحيفيين ، وقد وافق والدها على زواجها من شوقى ..

أما ابتسام : فهى معيدة فى معهد الموسيقى العربية قسم الآلات تخصص كمان . دائماً فى جدل مع مجدى الذى يرى

أن الاستماع إلى الموسيقى حرام . وكم صاح فيها : الإسلام لا يرضى عن الموسيقى ، وحين جابهته مرة بأن الإسلام لم يحرم الموسيقى بدليل استماع الرسول (ص) لبعض الأغانى دون اعتراض – قال لها إن هذه أخبار مدسوسة ولا يعترف بها . ابتسام تحب شادى صبحى شقيق مريام زميلها فى المعهد ، وهو عازف ماهر ، ولديهما خطط للزواج ، وينتميان معاً إلى "الجمعية الوطنية للتغير" . كم جمعتهما مظاهرات واجهت الشرطة ، ولم يسلما من الإصابات أثناء مواجهة الشرطة للمتظاهرين ..

السفير زكريا العباسى : خريج اقتصاد وعلوم سياسية. تعارفنا فى هايكستب فى يناير ٦٨ . تجاورنا أثناء التدريب المبدئى .. ثم انتقلنا إلى الأساس الرابع بالمعادى للتخصص فى سلاح مضاد للطائرات الحربية المنخفضة أو الغاطسة (م.ط ١٢,٧) . ضمنا بعد فرقة التخصص "اللواء ١١٨ مش

ميكا" ؛ هو فى ك٥٠١ ، وأنا فى ك٥٠٠ . ترابط بالقرب من القناة أمام خط بارليف كتائب اللواء . يقود هو "طاقماً" يضم أربعة مدافع لحماية كتيبته ، وأقود أنا "طاقماً" يضم أربعة مدافع لحماية كتيبتى . كم تعاملنا مع الطيران الغاطس المغير على المواقع الأمامية للكتيبة . كم تقابلنا أثناء الإجازات القصيرة على مصطبة الحاج على فى قرية "حنيدق" التى تطل عليها مدافع فصيلتى الـ"م/ط" ، أو فى جروبى بميدان طلعت حرب فى الإجازات الطويلة (٧٢ ساعة أو ٩٦ ساعة) . بعد ثلاث سنوات صدر قرار إنهاء تجنيد بعض المجندين المعيدين بالجامات ، والدبلوماسيين بوزارة الخارجية ، فلم التق به إلا بعد الحرب بعامين فى مكتبه بوزارة الخارجية . تزوج وأنجب بشير ومنير وهما توأم . التقينا فى الكويت فى نهاية عام ٧٥ حيث كنت أعمل فى صحيفة السياسة اليومية ، بينما كان هو يشغل سكرتيراً ثانياً فى السفارة المصرية . غادرت بأسرتى الكويت نهاية عام ٧٧ لاستلم وظيفة مدرس مساعد

بكلية الإعلام بعد حصولى على الماجستير .. ثم التقينا عام ٨٣ عندما أعرت إلى جامعة الكويت ، على حين جاء هو إلى الكويت ليشغل وظيفة نائب القنصل العام . تعرفت على ولديه بشير ومنير الذين أكملا تعليمهما بجامعة عين شمس بالقاهرة.

أما بشير : فقد حصل بتفوق على ليسانس الحقوق بعين شمس فعيّن معيداً ، ثم مدرساً ، وهو الآن أستاذ القانون الدولى المساعد . ينتمى لحركة ٩مارس . متحمس للتغيير ويسعى إلى إزاحة النظام القائم . كثيراً ما يندمج الشقيقان فى نقاش إيدلوجى ينتهى إلى خصام وشجار .

أما منير : فقد حصل على بكالريوس الطب ، ثم عين معيداً بها ، ثم تدرج بالترقى وهو الآن أستاذ مساعد "باطنة وقلب" . يؤمن بفكر الجماعة المحظورة . يرى أن مصر مجرد ولاية أو جزء من الخلافة الإسلامية الكبرى ، وأنه لا ضرورة للجيش النظامى الذى يمكن استبداله بميلشيات . يتجادل كثيراً مع بشير لمحاولة إقناعه بما يعتقده .

الدكتور جمال الهوارى : تخرج فى جامعة عين شمس. تعرفت عليه أثناء أداء "اللواء ١١٨ مش ميكا" لمشروع عبور تدريبى بالرياح المنوفى بالخطاطبة . عرفته فى قيادة اللواء حيث استدعانا قائده لتبادل حديث ودى مع قادة أطقم الأسلحة المعاونة "م/ط ، وم/م ، وم/د ، والهاون" بالكتائب الثلاث ، باعتبارنا طلائع تحديث الجيش المصرى عقب نكسة ٦٧ المريرة .. تبادلت الحديث مع جمال بعد لقاء القائد أثناء عودتنا إلى وحدتنا التى تستعد لمشروع عبور ليلى . عرفت أنه معيد بكلية الهندسة قسم ميكانيكا الطيران وأنه مرشح للبعثة إلى الاتحاد السوفيتى بعد انتهاء فترة التجنيد . قضى ثلاث سنوات فى فصيلة الـ"م/د" ، ثم خرج بقرار إعادة المعيدين إلى جامعاتهم. سافر إلى الاتحاد السوفيتى وعاد منها بعد أربع سنوات حاصلاً على درجة الدكتوراه فى هندسة ميكانيكا الطيران ، ثم تدرج حتى وصل الآن إلى أستاذ . هاجم فى مجالس خاصة وعامة فكرة توريث الحكم الجمهورى

الجارية فى بعض الدول العربية مثل : سوريا ، واليمن ، وليبيا ، ومصر . حمل بصفة خاصة على الداعين إلى إعداد جمال مبارك لحكم مصر بعد انتهاء فترة رئاسة والده فى سبتمبر ٢٠١١ . تزوج أثناء البعثة من زميلته المصرية المبعوثة نادية حمدى ، وأنجب منها حازم وسمية ..

أما حازم : فقد تخرج فى كلية الهندسة ، وعمل فى وزارة البترول . متشدد فى آرائه وحوارته مع والده ووالدته ، وشقيقته سمية ، فهو ينتمى إلى الجماعة المحظورة .

وأما سمية : خريجة قسم صحافة بكلية الإعلام . تنتمى إلى حزب التجمع . تعمل بصحيفة الشفق . وكم تعارضت آراؤها مع آراء شقيقها حازم ، وتجاهر بمناوءة الفساد والفكر الإخوانى فهى لا تؤمل فيهم خيراً ؛ لأنهم يعملون لصالح التنظيم لا الوطن . وكلاهما أصيب بصدمة عنيفة جراء اختطاف والدهما جمال الهوارى من وسط

الشارع؛ لأنه جاهر بآرائه الصادمة لأركان السلطة ، ولم يعرف أحد عنه شيئاً حتى الآن..

الدكتور سليمان الدمياطى : تخرج فى كلية أصول الدين فى جامعة الأزهر . التقيت به فى الأساس الرابع بالمعادى وتوثقت صلتى به . يميل إلى الصمت . دائماً يقرأ فى كتاب خلال أوقات الراحة . تخصص فى مدفع الهاون ، وألحق بـــ"ك٥٠٠" . تشاركنا أثناء مشاريع العبور الصباحى والليلى فى ترعة الإسماعيلية ، والرياح المنوفى . بعد الحرب بخمسة أعوام حصل على الدكتوراه فى الفقه المقارن . يعتنق فكر "الجماعة المحظورة" . عمل بجامعة الإمام بالرياض . وظل بها حتى إحالته إلى المعاش . عاد إلى مصر ، ويحاضر الآن فى كلية الدراسات الإسلامية، ومعهد البحوث الإسلامية . تزوج عام ٨٠ وأنجب ولديه كريم ومدحت ..

أما كريم: فقد تخرج فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة قسم الشريعة. داعية ناجح. يعمل بوظيفة إمام وخطيب

بمسجد الرفاعى بالدراسة . متعصب لمبادىء الجماعة ، وله علاقات ببعض أعضاء مكتب الإرشاد ، ويجد تشجيعاً كبيراً من والده..

وأما مدحت : فقد تخرج فى معهد الفنون المسرحية رافضاً رغبة والده فى أن يلتحق بدار العلوم مثل شقيقه كريم، وهو الآن أستاذ مساعد ويجهز للأستاذية . مناوئ لنظام الحكم ومشارك مخلص فى المظاهرات . ينتمى إلى حركة كفاية ، كما أنه مناوئ لفكر الجماعة ، ودائم الاختلاف مع شقيقه كريم، وكم فض والداهما "الاشتباك" اللفظى واليدوى الذى ينتهيان به عقب كل مناقشة أو حوار .

شعبان الفيومى : أميّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، لكنه مثقف ثقافة سماعية . شارك فى حرب اليمن ، وعاد مع وحدته العسكرية مساء يوم ٣ يونيو ٦٧ ، يحتفظ فى مخلتيه "بطاقم أكروبال" سوف يسافر به فى أول إجازة إلى الفيوم ليضيفه إلى قائمة مشترواته استعداداً للزواج من ابنة عمه هانم..

عاد بالطبع من غير المخلاة مشياً على الأقدام مدة عشرين يوماً بصحراء سيناء مع زميله مسعد الخواص . خرج من الجيش بعد الحرب وتزوج من هانم .. ورث عن والده المزارع عشرة فدادين باع منها فدانين ، وشارك فى مصنع جلود بالفيوم .. آل إليه المصنع بعد خمس سنوات . توسع فى مشروعه الذى صار يحمل عنوان "شركة الفيوم للجلود الطبيعية"، ومركزها الرئيسى ضاحية الدقى بالجيزة .. وأنجبت هانم له ولدين : سعد وسعيد ..

أما سعد فحاصل على بكالريوس خدمة اجتماعية . له خبرة واسعة فى العمل الاجتماعى . يشغل الآن منصب أخصائى اجتماعى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة . ينتمى فكره إلى "الجماعة المحظورة" . يؤمن بتعاليمها ويشارك فى كل اجتماع يدعى إليه ، ويقبل عليه الطلاب المنتمون إلى الجماعة . استدعى إلى مباحث أمن الدولة عدة مرات ، واعتقل لمدة شهر بسجن القلعة ..

لا يلتفت كثيراً لأفكار والده الحاج شعبان الذى يشيد دائماً بنجاح قرار عبد الناصر بإعادة بناء القوات المسلحة، كما لا يستمع لحكايات والده عن رفاق سلاحه ، لأنه درب على كراهية الجيش المصرى ، كما لا يهمه معاناة الشعب من أجل "إزالة أثار العدوان" ؛ فهو يرى أن هزيمة ٦٧ غضب من الله نزل على نظام حارب طول الوقت "الجماعة المحظورة" بالقتل، والسجن ، وبالاعتقال ، وبالملاحقة ، والاضطرار إلى النفى الاختيارى فى دول عربية وأجنبية مختلفة . الآن لابد من المواجهة بالمشاركة فى المطالبة بإسقاط النظام الحاكم ، وبضرورة القيام بحملة تنادى بالتخلص من "حكم العسكر" ..

وأما الابن الثانى سعيد : فهو مؤمن بمبادئ حركة ٦ أبريل . خريج آداب إسكندرية قسم اللغة الإنجليزية ، وحصل منها على درجتى الماجستير والدكتوراه .. وعمل بها مدرساً.. ومنذ أسبوع رقى إلى درجة أستاذ مساعد فى النقد

الأدبى الإنجليزى . سافر إلى إنجلترا فى مهمة علمية بجامعة لندن لمدة عام ، وسافر مرة أخرى إلى إنجلترا للحصول على المزيد من الدورات النقدية فى جامعة أكسفورد لمدة عامين . مناوىء . كلما حضر إلى الدقى اشتبك وتشاجر بالكلام مع شقيقه سعد بخصوص مستقبل الوطن ؛ فبينما يرى سعد أن الحل فى إنشاء دولة دينية يؤكد سعيد على ضرورة الدولة المدنية المنفتحة على العالم والأفكار التحررية ، فهى أمل التقدم والرخاء ، ولن يساعد أحد على قيام نظام دينى يستند إلى العسف والتكفير والإقصاء ..

(١٦)

دعا سعيد الفيومى عن طريق التليفون المحمول أبناء أصدقاء والده بمنزل العائلة بالفيوم ، بمناسبة ترقيته إلى درجة أستاذ مساعد. دعا كلا من سعد الفيومى ، وحمزة المراسى، وجهاد المراسى، ومجدى السويفى، وفادية تادرس ، وسامح

تادرس ، وسميح عزيز، ومروة البنهاوى ، ورشدى البنهاوى، وكمال البنهاوى ، وكريم الدمياطى ، ومدحت الدمياطى ، وبشير العباسى ، وحازم الهوارى ، وسمية الهوارى ، وحسن الخواص، وحلمى الخواص، وسائد عزيز ، ومريم المراسى..

أدرك أصدقاؤه السبب الحقيقى للدعوة ؛ فهم يلتقون دائماً كلما حدث ما يوجب اللقاء : مساندة الاحتقان الشعبى ، ودعم الاحتجاج الفئوى ، والمشاركة فى التظاهرات السلمية ، وتبادل الآراء حول مشكلة توريث الحكم ، والانتخابات المزورة ..

حضروا فى الموعد المحدد : الحادية عشرة صباحاً فى سبع سيارات . بين وصول السيارة الأولى والسيارة السابعة نصف ساعة . العدد ثمانية عشر . جمعتنا جلسة دائرية تحت بيرجولا خشبية فوق سطح المنزل . مغطاة بأشجار اللباب ، ومزودة بمقاعد ومنضدة كبيرة . يطل السطح على الحقول

الخضراء ، ويشرف على الفضاء الواسع الممتد الذى لا يحجبه حاجب . قال سعيد بعد وصول أصدقائه :

- الحال سيئ كما ترون ، وهم لاهون بعد التزوير الفاحش . يجب التحرك بقوة .

فقالت سمية الهوارى :

- رأيى أن نكثف من التظاهر فى أكثر من مكان فى وقت واحد ، وننادى بعزل وزير الداخلية .

فقال حمزة المراسى :

- لابد من التصعيد لإسقاط رأس النظام .. إسقاط رئيس الجمهورية ..

فقال حسن الخواص :

- يجب دراسة التصعيد لنصل لنتيجة حتمية : أولاً ننادى بشعار (عيش – حرية – عدالة اجتماعية ، كرامة إنسانية) ، ثانياً نطالب بإقالة الوزير ، ثالثاً نطالب بمحاكمة الفاسدين فى إدارات الدولة ، وهذا يتوقف على نوع رد الفعل الرئاسى .

فقالت مروة البنهاوى :

- المهم أن تتواصل المطالب وتستمر .

وقال سميح عزيز :

- يجب التزام السرية فى التحرك ، فأنا أشعر أننا مراقبون؛ كلما خرجت أجد من يتابعنى ، ليسلم المراقبة إلى آخر الذى يسلمها إلى ثالث وهكذا حتى أصل إلى مقر عملى أو لمنزل صديق أو قريب .

فقالت فادية تادرس :

- حتى الكنيسة لم تسلم من المراقبة فى أيام الآحاد ، والمناسبات . الكنسية لا تخلو من الرقباء . أرى أن نحذر.

فعقب بشير :

- لذلك يجب الإكثار من التظاهر ..

أيدت مريم المراسى رأى بشير قائلة :

- يجب أن يتواصل التظاهر ، مادام الهدف إسقاط النظام ..

فسارعت فادية تقول :

- يجب ألا نعود إلى منازلنا إلا بعد إسقاط النظام ..

وقال جهاد المراسى :

- والمساجد أيضاً تحت المراقبة . لنا قريب ضابط من أمن الدولة حذر أبى بأن رقابة صارمة تتم على حمزة وأصدقائه . الغرض من الرقابة تحويل انظارنا عن المطالبة بمواجهة الفساد والمفسدين . إنهم سيراقبون وسيراقبون ، وقد يتم اعتقال لبعض الوقت .

فعقب مجدى السويفى :

- يجب الحذر دائماً . جرى الاستعلام عنى عن طريق صحفيين بالجريدة وغيرها تم تجنيدهم لكتابة تقارير عن نشاطى الصحفى والإعلامى ؛ لأننى أحرض القراء على مواجهة الفساد فى مؤسسات الدولة .

وقال بشير العباسى :

- يجب أن نبادر غداً أو بعد غد بإعلان تظاهر متواصل ولا نعود إلى منازلنا إلا بعد زلزلة النظام .

وقال حازم الهوارى :

- أرى أن نتريث فى المجاهرة بالرأى .
- فعقب سامح تادرس :
- بل تجب المجاهرة الصريحة بآرائنا .

وقال كريم الدمياطى :

- يجب التأنى فى التظاهر المنادى بإسقاط النظام ، يجب إعطاء فرصة لنظام الحكم لإصلاح ما فسد .

شملهم صمت غير مريح جعلهم يديرون أبصارهم فى معالم البرجولا التى تضمهم .. تبادل الجميع نظرات الاستنكار لما قاله كريم عدا مجدى ، وحازم ، وجهاد . مضت فترة الاستنكار الصامت ، ثم شعروا أنهم غير آمنين .. وبدا أنهم يرغبون فى الانصراف . وتساءل سعيد فى نفسه : هل سيمضى التغيير بقوة الرغبة العارمة، أم سيتراجع بأحاسيس اليأس والقنوط ؟ ، هل سيتواصل اللقاء هنا أو هناك ؟ ، أم سنفكر ألف مرة قبل أن نجيب الداعى إليه ؟ ..

شعر سعيد بقلق حاد عندما بدأوا فى الانصراف . أراد بإحساس طاغ أن يقضوا بقية النهار والليل فى ضيافته . أوحى إليه إحساسه بأن خطراً يترصدهم وهم عائدون . سينال الخطر منهم أو من بعضهم لو غادروا المنزل الآن .. ليتهم يبقون .. ليتكم تبقون ..

لاحظ الجميع ملامح القلق على وجه سعيد . يشعرون بما يشعر به ، ويقدرون ما يفكر فيه . لكن البقاء هنا ليس فى صالحهم طالما تواصلت المراقبة ، وجرى التجسس ، وتم الاختراق. وقال حمزة المراسى :

- اطمئن . لكن لا يجب أن نمكث هنا طويلاً . تذكروا أننا تحت المراقبة .

وقالت فادية تادرس :

- أكد العادلى المراقبة التليفونية . قال (اللى خايف ما يتكلمش) .

وقال حسن الخواص :

- ولا ننسي مراقبة العملاء فى الشارع والحى والمنزل .

وتساءل مجدى السويفى :

- والحل ؟

فسارع سميح عزيز إلى القول :

- الحل بأن ننصرف جميعاً الآن ، وأن نغادر الفيوم .

لم يعترض سعيد . سكت مقهوراً . لكن قلقه دعاه إلى أن يستقل سيارته ليتابعهم وهم يغادرون فى سبع سيارات تحت شمس العصر الصفراء . يحد السيارات السبع أمامه مساحات رملية ممتدة على جانبى الطريق ، وتهب عليها نسمات ديسمبر الباردة ..

رغم نقاء النسمات فإنها لم تنعش أحداً . لم تنعش أحداً، ولم تنعشِنى ؛ ففى الصدور همّ ثقيل ، وبالذهن فكر مشغول .

كيف أتوقع أى شىء يمكن أن ينعشنى والوطن مدحور ومأسور ؟! الشباب مراقبون ، والآباء قلقون ، ورغم كل شىء لابد من التواصل بالعمل لإزاحة الهمّ الجاثم فوق الصدور . وما من طريق لبلوغ ما نريد إلا بالإصرار على التنفيذ ، الذى لن يتحقق إلا بالحذر لتجنب الاعتقال والتنكيل ..

هاهى السيارة الأولى تمضى بهدوء ، وتتبعها السيارات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة . فى السيارات السبع أحباء يجب أن يبقوا أحياء لنواصل العمل . بقى زمن قصير على بلوغ ما نتمناه .. يوشك النظام على السقوط ، وأركانه جميعاً لاهون ولا يبصرون ..

هاأنا ذا أرى أمامى حركة مريبة ؛ ثمة سيارة سوداء ضخمة تتبعها سيارة أخرى مماثلة فى الحجم واللون .. كلاهما صدمتا السيارتين الخلفيتين صدمتين عنيفتين فانقلبتا مرات على يمين الطريق داخل الصحراء . وهاهما قائدا السيارتين

يصدمان السيارات الثلاث فتنقلب جميعاً على يمين الطريق ، ثم يلوذان بالفرار.. هرعت إلى المكان صائحاً بسيارة عابرة . توقفت ثم توقفت عدة سيارات ..

هرعت وهرعوا إلى مكان الانقلاب ، بينما سارع أحدهم إلى الاتصال عبر تليفونه المحمول بالشرطة يخبرها عن الحادث.. أخرجنا المصابين. كانوا جميعاً فى حالة مزرية عدا مريم ، بشير ، وحسن ، وفادية ، ومجدى ، وكريم ، وحازم ، وسميح ، وجهاد..

نالنى القهر وسيارتا إسعاف تمضيان بالمصابين التسعة، بينما توعّد معى الناجون الغاضبون الجهة التى وقفت وراء الحادث: نعرفها ونعرف من هم ، وسوف يكون العقاب فى الانتظار بمزيد من المظاهرات والمواجهات دون تراجع أو خوف من أحد وقلت فى نفسى الرد سيكون بمزيد من التظاهر فى أماكن إضافية وغير متوقعة .. ثم وجدتنى أختنق بالبكاء

وأنا أرى أصدقائى التسعة فى مقاعد متحركة يُدفعون لغرفتى عمليات . راقبنا المشهد المؤسف بقلوب قلقة ..

شاءت عناية الله أن ينجو المصابون ، فلم تكن إصاباتهم خطيرة ؛ جاء التشخيص بأن الإصابات رضوض عظام مع شجات فى الجباه وكدمات فى الأذرع والسيقان ..

خرج الجميع فى اليوم الثالث بأربطة تحيط الجباه ، وحوامل لثلاثة أذرع . شاءت العناية الإلهية أن ينجو المصابون ، فهل ينجو من عقاب ثأرى من دبر الحادث المؤسف ؟!..

نشط السؤال وأنا أشارك ظهر اليوم الثالث فى إعادة المصابين إلى مساكنهم .. حمدت الله أنهم عادوا بنفوس مملوءة بالتفاؤل والعزم على مواصلة العمل ..

لاحظت فى عيون التسعة معانى الغضب والتوعد ، والتصميم على استمرار الإعداد لمزيد من التظاهر

الاحتجاجى.. كيف لأى واحد منا أن يهدأ ويميل إلى الدعة والسلام مادامت أيادى البطش تراقب وتؤذى وتسفك الدماء؟!..

(١٧)

اتفقت مع أصدقائى السبعة .. زملاء السلاح على اللقاء بمنزلى بحدائق الأهرام فى الحادية عشرة صباحاً . جلست فى الفوتية بالشرفة انتظاراً لتوافدهم . أثناء الانتظار استدفأت بأشعة شمس يناير بعد احتجاب بغيوم ثقيلة . غمرت الأشعة أركان الشرفة بما تضم من منضدة مستديرة وفوتيهات صغيرة..

تصفحت أهرام اليوم : ٢٤يناير ٢٠١١ . تصدر الصفحة الأولى مانشيت أحمر "غداً الاحتفال بعيد الشرطة": ذكرى استشهاد عشرات الجنود دفاعاً عن مديرية أمن الإسماعيلية ضد جنود الاحتلال الإنجليزى عام ١٩٥٢ – فى

معركة غير متكافئة . كنت فى العاشرة عندما سمعت أبى يحدث أمى عن المعركة بصوت غاضب حزين بينما كان ممسكاً بجريدة المصرى ..

أعدت قراءة العنوان وأنا أتساءل : الأبناء فى الصالة يتبادلون الأحاديث عن أن الغد هو ٢٥ ، ولابد من الخروج إلى التحرير بعد اتفاقنا بالفيسبوك. الموعد الساعة العاشرة فى الميدان..

قلت فى نفسى : الشرطة وطنية ولن تقمع المظاهرة فى المواجهة المتوقعة . غداً عيدها ، ولا يتوقع أحد أن تسيل دماء فى يوم العيد . ولكن ما حدث فى صحراء الفيوم لا يدعو إلى الاطمئنان . كيف يطمئن أحد وهو يرى آثار التدبير القاتل يحل بشباب ثائر هنا وهناك ؟ .. وهاهو بشير ابن صديقنا زكريا العباسى قد جرى خطفه أمس من أمام منزله وإيداعه فى سيارة سوداء انطلقت به إلى جهة مجهولة . كيف يمكن أن يحدث فى القلب الاطمئنان؟!

تداخلتْ مع تفكيرى أصوات أبنائى وأصوات أصدقائهم الذين تجمعوا منذ ساعة بصالة الفيلا . يتحدثون عن مقتل خالد سعيد ، ومصرع نجيب المراسى ، واختطاف بشير العباسى . قال حمزة :

- لا يجب أن ننسى مقتل خالد سعيد ، ومصرع نجيب ، واختفاء بشير .

وعقبت فادية :

- جريمة بشعة لا تتحملها الداخلية فقط .

وقالت مروة :

- اغتيال نجيب واختطاف بشير رسالة ترهيب موجهة للشباب .

وقالت مريم :

- لابد أن يحاسب النظام كله على القتل والاختطاف .

وقال سعيد :

- كيف يمكن السكوت بعد أن ازداد التواصل وازدادت الدعوات إلى الخروج فى الغد .

وقال مجدى :

- هل يمكن الاتفاق على خطف مسئول نتفق عليه نتيجة ما جرى للتوار من خطف؟ ، ثم أسمك برهة وقال ألا يمكن تنفيذ عملية اغتيال ؟ .

فصاح حمزة رافضاً السؤالين معاً :

- نريد ثورة بيضاء سلمية . لا نريدها دموية .

وقال سميح :

- اختيار ٢٥ له دلالة تذكّر الشرطة بموقفها الوطنى فى معركة الإسماعيلية . الشرطة لن تقمعنا . ستتعاطف معنا . سنخرج فى عيدها .

وقال حمزة :

- يجب الحذر . أنا غير مطمئن . وإن كان عندى أمل فى عودة بشير .

تواصل حديثهم .. تابعت للحظات ، ثم أسرعت إلى التليفون أُجرى اتصالاً بالسفير زكريا العباسى لأتحقق من صحة خطف بشير .. فأجاب بصوت واهن :

- الخبر صحيح .

- والعمل ؟ .

- هناك جهود تبذل الآن لمعرفة مصيره ، وسوف أخبرك.

تواصلت الأصوات بالداخل .. بينما جلست حياة بالفوتيه . تستمع إليهم وبوجهها ملامح الهم والكآبة . اختفت من فمها بسمة الرضا المعروفة ، وغاب من نظراتها التفاؤل المعهود .

هاهم الأبناء وأصدقاؤهم يخرجون الواحد بعد الآخر . لم أسأل أحداً منهم عن أى شىء . حيّونا جميعاً بأياديهم ، ومضوا إلى حيث لا نعلم . كل ما فعلناه أننا ودعناهم بإبتسامة يستتر خلفها التوتر والقلق ..

(١٨)

هاهم أصدقائى يتوافدون على منزلى ، ويتجهون إلى الشرفة حيث أجلس . نهضت لاستقبالهم . جلسنا ، وقد خيم علينا الصمت .. ثم اقترحت تغيير المكان فدلفوا ورائى إلى الصالون، بينما لم تغادر حياة مكانها . نهضتْ وحيتهم جميعاً، ثم جلست راغبة فى الاستماع إلى ما يمكن أن نقوله الآن . لم يطل صمتنا ؛ فقد بادرتُ إلى القول :

- الوضع خطير.

فقال مسعد الخواص :

- سيخرج الشباب غداً إلى التحرير . لا نعرف من أين سيبدؤن السير إلى الميدان .

وقال سامى تادرس :

- أرى أن نتحرك أيضاً صباح الغد ، ويكون تجمعنا تحت الأسد الأيمن بمدخل قصر النيل .

وقال عبد التواب :

- يجب أن نساعدهم .

فعقب شعبان :

- يجب أن نكون خلفهم .

وسارع جودة :

- وأمامهم وحولهم .

وقال سليمان :

- أرى أن نكون خلفهم ، أو نؤجل مشاركتنا لهم حتى تتضح الأمور .

لم يعلق أحد منا على كلام سليمان . تأملت ملامحهم الناطقة بقوة العزيمة وصلابة التصميم على المشاركة دون مراعاة لتقدم السن والظروف الصحية الحرجة التى نمر بها

جميعاً ، فشعرت بالاطمئنان ، وبأن الحركة القادمة سيكتب لها النجاح ، وبأن الزلزال واقع لا محالة ، وبأن الحلم الذى حلمت به ليلة أمس سوف يتحقق : رأيت فى منامى ريشة فى مهب ريح عاتية . صحوت من نومى ونهضت من الفراش ، وعندى يقين بأن النظام الحاكم سوف ينهار . فهاهى الآن ريشة الحلم فى مهب الريح . الريشة التى رأيتها فوق رؤوس كثيرة تدفع بها الريح من فوق مياه النيل وتسقطها فى الميدان، حيث داستها الأقدام .. قلت فى نفسى : النظام ساقط لا محالة، وبدأ العد التنازلى لرحيل رئيس النظام وأركانه ، وقلت فى نفسى آسفاً : من المتعذر أن أرى البديل .

(١٩)

هانحن بعد اللقاء بيومين نلتقى تحت الأسد الأيمن بمدخل الكوبرى . حضرنا جميعاً باستثناء سليمان ، وشعبان . تأكدنا من الأبناء بأن مظاهرة احتجاج ستتم صباح اليوم

٢٥يناير بميدان التحرير . لم نخبرهم عن قرار المشاركة فى المظاهرة . اكتمل عددنا بحضور شعبان الفيومى الذى تأخر عن الموعد مدة عشر دقائق يسبقه حوالى ٥٠ شاباً بدا أنهم يقصدون الميدان . دارت عيوننا باحثة عن سليمان . توقعنا جميعاً أن لا يحضر سليمان ، لكننا تمنينا أن يأتى سليمان . هاهى مجموعات أخرى شبابية تقبل على كوبرى الجلاء المؤدى إلى كوبرى قصر النيل .. أطل علينا الأسد الحارس المتحفز ، وسعد زغلول بإشارة إصبعه المعهودة ..

حدثت نفسى بأن الأسد الشهير بمدخل الكوبرى يثير فى النفس الحماسة ، ويقوى العزيمة، وأن إشارة إصبع سعد زغلول نحو مخرج الكوبرى تدعو إلى مواصلة التقدم إلى الميدان وغير الميدان .. هاهم الرفاق مثلى يديرون الأبصار بين الأسد والتمثال وكوبرى الجلاء البعيد انتظاراً لشباب أخرين بدت بشائرهم تعبر كوبرى الجلاء ..

اهتززت للهتاف القادم : "عيش ، حرية ، عدالة اجتماعية ، كرامة إنسانية" . تابعنا الهتاف وهو يتهادى إلينا مع القادمين إلى أن تحول إلى ما يشبه الزئير .. لم أجد فى الكتلة الجماهيرية المقبلة إلا وجوهاً متشابهة . شبان تعكس وجوههم الإصرار والتصميم ، وتدل ملامحهم على أن تغيراً كبيراً قد بدأ فى التحقق كم طال انتظاره ..

ما إن بدأت المظاهرة الصغيرة فى الاقتراب منا حتى انضممنا إليها . نظر بعضهم إلينا وتسابقوا إلى القول :

- أبشروا أبشروا سوف ننجح . هاهم قد انضموا إلينا . الآباء انضموا إلينا .

قطعنا الكوبرى بما يشبه الهرولة ؛ فقد نما إلى أسماعنا أصوات الهتاف فى الميدان . اندفع الشباب ونحن وراءهم لكن بخطى متثاقلة بحكم السن .. سبقوا إلى الميدان ونحن وراءهم..

وعندما وصلنا الميدان افترقنا جميعاً بسبب التزاحم . ثم بدأ الهجوم على المتظاهرين برشاشات المياه ، ثم بالغاز المسيل للدموع ، بينما تواصل إطلاق رصاص تحذيرى فى

الفضاء . لم يتراجع الشباب ولم نتراجع . تواصل الاحتجاج وتوالت الهتافات . تعالت بكلمات الحرية ، والتغيير ، والعدالة الاجتماعية ، والكرامة الإنسانية .. حينما هاجم جنود بعض الشباب الذين استفزوهم تصدى لهم شباب ، وجرى الاشتباك بالأيدى . وقد تم اعتقال العشرات من المتظاهرين .

قبل الغروب غادر الميدان عدد كبير من الشباب ونحن معهم .. غادرنا الميدان آسفين . لكن شعرت أن ثمة جولة أخرى ستتم فى الميدان ..

(٢٠)

هانحن نقترب من مخرج الكوبرى قاصدين الميدان . قررنا أن نشارك الأبناء تواصل احتجاجهم يوم الأربعاء ٢٦يناير ، والخميس ٢٧يناير . لا يمكن التخلى عن الأبناء . ولسنا نخاف ؛ فمن شارك فى حربى الاستنزاف و٧٣ لا يمكن أن يخاف . المواجهة الآن هينة بالقياس لما خضناه من أهوال الحرب . فهل يمكن أن نخاف ؟ . لا يمكن أن نبدى لهم أننا

خائفون من أى شيء . من الضرورى أن تقوى عزائهم وتتواصل قدراتهم على المواجهة ..

فجأة علت الأصوات وارتفع الزئير . عرف الشباب عن طريق الاتصال بشباب الأربعين بالسويس أن صداماً وقع بين عدد من الشباب المتظاهر والشرطة .. ثمة متظاهرون سقطوا برصاص الشرطة. تواصل الزئير وتضاعف الغضب. ازداد التوتر بين أعداد المتظاهرين والجنود المدججين بالأسلحة ..

بحثت مع أصدقائى عن الأبناء .. انماعو فى أعداد المتظاهرين الذين ازدادوا مع مرور الوقت . أصابنى القلق .. تسلل إلى الخوف . ليس على نفسى بل على الأبناء : أين هم الآن ؟ . بحثت دون جدوى . شعرت بالإرهاق الشديد . شعرت بأننى أكاد أسقط . فجأة أحسست بيد تتأبطنى . كانت يد جودة البنهاوى الذى رمقنى من بعيد فهرع إلىّ . تأبطنى

وغادرنا الميدان ، بينما لاحظت أعداداً مقبلة من ميدان عبد المنعم رياض ، وأخرى آتية من مَنزل الكوبرى .

أبديت لجودة رغبتى فى الجلوس . شعرت بأننى أريد أن استريح بعض الوقت قبل استئناف السير . أبديت له رغبتى فى الجلوس تحت قاعدة الأسد الأيمن قبل أن نواصل السير فوق الكوبرى . جلسنا ، بينما أشعل هو سيجارة وجعل ينفث دخانها فى الهواء . قال بعد لحظات صمت : سوف يخرج الأمر عن السيطرة . حدث صدام قاتل فى ميدان الأربعين بالسويس . عرف به شباب الميدان فازداد غضبهم وتصاعد . فاردفت قائلاً:

- سمعت من بعض الشباب ، وسقط عشرة من المتظاهرين برصاص الشرطة .
- الأولاد لن يتراجعوا ، ولن يقبلوا بأى اقتراح . ثمة دم أريق بالسويس فى ميدان الأربعين بالسويس .

نهضنا بعد أن انضم إلينا الأصدقاء . قطعنا الكوبرى حتى مواقف سياراتنا خلف الكازينو لنقصد منازلنا . افترقنا على وعد بالحضور إلى الميدان فى الغد . هاهى المظاهرات تتواصل فى ميدان الأربعين بالسويس ، وميدان القائد إبراهيم بالإسكندرية والمحلة والمنصورة ، فأطلق الأمن المركزى رصاصات بعد مدافع المياه ، وأطلق الغاز المسيل للدموع ..

أصابت الرصاصات العشوائية الرؤوس والصدور . كيف يمكن السكوت بعد الآن ؟ . يفتح الشاب ذراعيه ويتقدم نحو الجنود فيطلقون عليه الرصاص . كيف يقبل من يتابع هذا الصدام غير المتكافىء . كيف يمكن السكوت على الرصاص القاتل ؟ . تعالت فى فضاءات الميادين والشوارع دعوة الخروج من جميع مساجد مصر عقب صلاة الجمعة ٢٨ يناير. أطلق الداعون إلى الخروج شعار "جمعة الغضب" ..

استمعت إلى الشعار الغاضب فأعجبنى . هز وجدانى ، ولكننى استشعرت قلقاً ممزوجاً بالارتياب ، ومع ذلك قلت فى نفسى : حان وقت سقوط النظام . اتصلت برفاقى السبعة واحد واحد فسمعت عبارة متكررة : حان وقت سقوط النظام . تواعدنا على اللقاء فى مسجد الاستقامة بميدان الجيزة لأداء صلاة الجمعة ..

(٢١)

اليوم الجمعة ٢٨يناير . فى التاسعة صباحاً حيانا الأولاد بتحية الخروج . قلت لهم وهم يغادرون المنزل :

- سوف نلحق بكم . موعدنا فى مسجد الاستقامة .

عقبت حياة:

- قلبى يحدثنى بأن النهاية موشكة .

أضفت:

- أرى النظام بدأ فى التهاوى. أشعر بخطر كبير سيحدث اليوم .

غادرت بسيارتى حدائق الأهرام . مررت بميدان الرماية الذى أفضى بى إلى شارع الهرم . قاصداً ميدان الجيزة حيث تواعدت مع أصدقائى لأداء صلاة الجمعة فى مسجد الاستقامة..

(٢٢)

عقب الصلاة مباشرة تعالى هدير أصوات المصلين فى ميادين الجيزة والتحرير والسويس والإسكندرية والمحلة الكبرى . هدرت الأصوات بجملة : "عيش حرية عدالة اجتماعية" . انطلقنا فى مسيرة الجيزة قاصدين ميدان التحرير سيراً على الأقدام . رأيت حمزة ومريم أمامى . بحثت عن جهاد فلم أجده معهما . تلفت ورائى فوجدته خلف الصفوف المتقدمة. بحث رفاقى عن أبنائهم : مجدى ، وحازم ، وكريم، وسعد ، ومنير ، فلم يروا أحداً منهم فى الصفوف الأمامية ، التفتوا كما التفت من قبل فوجدناهم خلف الصفوف المتقدمة .

تساءلت : لماذا هم فى المؤخرة . مضيت وأنا مفعم بالعجب .

تذكرت الحوار الذى جمعنى بولدى حمزة مساء أمس:

"قال حمزة:

- اتفقنا أن نخرج معاً عقب صلاة الجمعة . لكن توقع يا أبى أن لا يشارك أخى جهاد ..

فتساءلت متعجباً:

- لماذا ؟!. لماذا لم يشارك ؟! .

صمت قليلاً وقال:

- لارتباطه بالجماعة . يتحرك جهاد وسواه ممن ينتمون إلى الجماعة بأوامر صارمة .. خطواتهم محسوبة ومقدرة واستطلاعية .

فقلت :

- المشاركة فى التظاهر أمس وقبل الأمس مطلب جماعى. فلماذا يحظر على شباب الجماعة المشاركة؟!.

فأضاف حمزة:

- إذا شاركوا فبتصرف فردى . بغرض تقييم حركة الثوار ، ورد فعل أجهزة الأمن إزاءها .

فتساءلت:

- أليسوا هم من الثوار ؟! . تعرضت الجماعة لضغوط ومطاردة من كافة الحكومات فى العهدين الملكى والجمهورى . فلماذا لم يظهروا بوضوح كثوار ؟ .

عقب حمزة :

- سيتباطأ الإخوان .. عندهم تعليمات وأوامر . ينتظرون لحظة الأمر بالمشاركة الجماعية . أنهم يدرسون ويقيمون ما يجرى الآن وما جرى منذ أول أمس .

صمت حمزة قليلاً وقال:

- توقع يا أبى ألا يشارك جهاد ، ومنير ، ومجدى ، وحازم ، وسعد ، وكريم .

فصحت متسائلاً :

- حريصون إلى هذه الدرجة ؟! .

فعقب:

- ومع ذلك ربما نجدهم فى أول الصفوف بعد قليل . خطواتهم محسوبة . لا يتصرف أحد منهم من تلقاء نفسه . ثمة أوامر صارمة ، وأتوقع يا أبى ألا نراهم إلا عندما يتهاوى النظام تماماً .

فقلت معترضاً:

- كلام غير مقبول . أنتم أعضاء حركات كفاية و٦أبريل و٩مارس والجمعية الوطنية للتغيير .. أنتم متحاملون..

- فعقب حمزة قائلاً:

- صدقنى يا أبى . لقد درسناهم جيداً . دائما يهادنون لكن سرعان ما سيجلسون مع أركان النظام ، كما فعلوا مع

عمر سليمان نائب الرئيس ، لفك الحظر عن اللقاء بهم، وسوف ترى ذلك..

- لا أوافقك الرأى . فأنا خبير بهم أكثر منك . أنت لم تعرف بأمر المحاكمات الأولى فى ٥٤ ، والثانية فى ٦٥، جميعها محاكمات يحتاج بعضها إلى مراجعة . أنا أخبر بهم منك . لا تنس أننى ابن القرية ، وتربينا على تعاليمهم وأفكارهم الرشيدة ..

فقال حمزة بصوت لم يخل من عصبية :

- أعرف يا أبى بدأوا كجماعة دعوية ، لكن ثمة تيار منهم متطرف ، يحاول الآن أن يسود البلاد ويتحكم فى العباد ، وكما نسمع من هنا ومن هناك أنهم جماعة عالمية لا يعنيهم خصوصية الدولة المصرية بقدر ما يعنيهم فكرة وحدة الشعوب الإسلامية تحت مظلة خلافة أو رئاسة واحدة يرأسها أى رئيس من أى دولة إسلامية حتى ولو لم يكن عربياً .

فصحت به :

- أعندك دليل على ما تقول ؟ ..

فسارع إلى القول:

- التحليلات التى توافينى صباح مساء عبر الفيس بوك والتويتر .

شردت بذهنى فى أفكار كتب ومقالات صدرت عن "الجماعة" فى السنوات الأخيرة . وسمعت أقوالاً عن "حلمهم المنشود" فى ندوات عامة وجلسات خاصة : "الإسلام هو الحل" . الحلم المنشود الذى تربوا عليه وأرسوه فى عقول الأجيال المتعاقبة . من الضرورى أن تتزاح "الملكية" ، "والجمهورية الديكتاتورية" لتقيم "الجماعة" على أنقاضهما دولة الخلافة الجامعة لدول فى المشرق والمغرب ..

فكرت أثناء مسيرة شارع مراد ، المنطلقة من مسجد الاستقامة بميدان الجيزة عقب صلاة الجمعة .. فكرت فيما قرأت وسمعت عن حلم "الجماعة" . تأملت وأنا أتجاوز تمثال

نهضة مصر : الفلاحة المصرية الشامخة المرفوعة الرأس وهى تتكئ على كتف "أبو الهول" . الحارس الأمين دائماً ..

تفاعل داخلى فقلت : وطنى كبير كبير كبير ، ويحتاج إلى جميع الأفكار المتوافقة والمتعارضة . وتساءلت : أيمكن لفصيل معين أن يملك وطنى ؟! .. وسمعتنى أجيب على نفسى بصوت سمعه السائرون إلى جوارى :

- "مستحيل .. مستحيل أن يملك وطنى الكبير حزب أو فصيل..

ربتت يد جارى برفق كفى الأيمن . تطلعت إليه فرأيته فى عمر ابنى حمزة . استمعت إليه وهو يقول :

- أنا معك يا عم . سيسقط الفصيل أو الحزب لو انفرد بالسلطة..

توقف الشاب برهة ، ثم قال :

- هاهو الحزب الوطنى الحاكم ظن أنه باق إلى الأبد . الآن نراه يطفو فوق أمواج متلاطمة ستغرقه بعد قليل..

حدثت نفسى قائلاً :

- هل يغيب عن ابنى وأقرانه ممن ينتمون إلى "الجماعة" أن يفكروا ويتأملوا فيما جرى وما سيجرى الآن ، وفى المستقبل القريب ؟!

حين اقتربت المسيرة من كوبرى الجلاء انضمت إليها مظاهرة كبيرة بدا أنها قادمة من ميدان مصطفى محمود . قصدت المسيرة الكبيرة كوبرى قصر النيل . وفجأة انطلق صوت هتاف مزلزل "عيش . حرية . عدالة اجتماعية وكرامة إنسانية" .. رددها المتظاهرون وهم يتجهون إلى مدخل الكوبرى يحرسه الأسدان..

تطلعت إلى تمثال سعد زغلول وهو يشير بأصبعه إلى الأمام .. يدعو الزعيم أبناء الوطن فى كل العهود إلى التقدم إلى الأمام .. إلى الميدان . إشارتك خالدة يا زعيم ، ومعناها فى القلب والوجدان ..

تلفت حولى فرأيت حمزة يتابعنى بعينيه ، ولاحظت بجوارى وأمامى أصدقائى ورفاقى السبعة .. ورأيت أولادنا فى الأمام وفى الجوار ، عدا جهاد ومنير ومجدى وحازم وسعد وكريم . اكتفوا بالمراقبة والاستطلاع عن بعد انتظاراً للوقت المناسب.. تذكرت قول حمزة وهو يقول :

- لديهم أوامر بالمشاركة فى الوقت المناسب الذى تحدده "الجماعة" ..

وسمعتنى وأنا أردد مع الأصوات الهادرة تتعالى فى فضاء الكوبرى المطل على نيل لا يكف عن التدفق : "عيش حرية عدالة اجتماعية وكرامة إنسانية" .

وسمعتنى أقول: "الجماعة" حريصة دائماً على ألا تبادر بالاحتجاج الصريح ، والإعلان الواضح فى جميع العهود كما قرأت فى مقالات وكتب ظهرت فى الآونة الأخيرة . علينا أن نسمى هذا نوعاً من الحكمة أو الحنكة السياسة . دائماً لا

يظهرون ما فى بواطنهم إلا عندما يجدون أن هذا الأمر أو ذاك سيكون فى صالح "الجماعة"...

(٢٣)

توافدت المسيرة إلى الميدان بحشد هائل زادته مسيرة "العباسية ، وميدان رمسيس ، وشبرا" . اصطدم الجميع فى الميدان بضباط الأمن المركزى وجنوده . زحفت المسيرة الحاشدة تجاه الجنود . لم يبال أحد بمدافع المياه ، ولا بالغاز المسيل للدموع ، ولا بالطلقات التحذيرية ، ولا بالرصاص الصوتى على بعض الشباب ..

لاحظت أن طلقات رصاص حى توجه إلى بعض المتظاهرين من أماكن قريبة جداً منهم ، كما لاحظت أن رصاصات تهوى من سطح عمارة مطلة على الميدان ، وسطح مبنى الجامعة الأمريكية .

اندفع الشباب والكهول والشيوخ ، فتراجع الأمن وتراجع إلى الوراء . واجه بعض الشباب السيارات المصفحة التى تطلق المياه والغاز والرصاص التحذيرى . بل صعد فوقها بعض الشباب وأشعلوا فيها النيران .. احترقت سيارة وأخرى وأخرى .. بعد أن تعمدت سيارة مجهولة خرجت من جاردن سيتى وقامت بدهس شاب بشارع قصر العينى فأردته قتيلاً . عرف المتظاهرون بالخبر فارتفع صوت جهورى مزمجر جلجل فى سماء الميدان لأول مرة "الشعب يريد إسقاط النظام" . يردد خلفه عشرات الآلآف بزئير واحد غطى الميدان وتعالى فى الفضاء "الشعب يريد إسقاط النظام" ..

بحثت عن رفاقى فلم أجد أحداً منهم . انماعوا فى الحشود الغاضبة ، عززتها مسيرة آتية من شارع رمسيس عابرة ميدان عبد المنعم رياض ، وأخرى من شارع قصر العينى ، وثالثة من شارع التحرير . جميع المسيرات تقصد

الميدان الذى تم تغطيته بالبشر وبالهتافات والأصوات الغاضبة.. قلت فى نفسى هذه ثورة حقيقية لا يمكن السيطرة عليها ، ولا يمكن إيقاف مدها ..

التفت ورائى بحثاً عن أبنائى فلم أجد أحداً منهم . أين ذهبوا؟! ، وتساءلت : أين ذهب أصدقائى وأقرانى . بل فى أى زاوية من الميدان أنا؟! .. تضاعف الحشد مع مرور الوقت..

فجأة رأيت ابنى جهاد ، "ورأيت زملاءه الذين كانوا فى مسيرة الاستقامة" .. الآن ظهروا . هم الآن يتقدمون مع غيرهم الصفوف الأولى ، وتجأر حناجرهم بالهتاف : "الشعب يريد إسقاط النظام" تذكرت على الفور قول حمزة :

- يا أبى لن يشارك جهاد وجماعته إلا إذا درسوا الوضع وضمنوا نجاح المظاهرة" ..

حقاً هاهى المظاهرة الحاشدة نحجت الآن .. نحن على أعتاب ثورة حقيقية يشارك فيها الجميع لن تبقى ولن تذر ..

(٢٤)

شعرت بأننى بحاجة إلى بعض الراحة .. حدثت نفسى: هل من معين يعيننى ؟ . أكاد أسقط إعياء . لا أجد بالميدان مكاناً أجلس فيه . الجميع فى حالة وقوف وحركة وتدافع . يبدو أن شاباً رآنى غير قادر على الوقوف والحركة فهرع نحوى . استندت على كتفه ومضى بى بعيداً عن الحشود ، واقترح أن أعود إلى المنزل الآن ..

- سوف نكمل يا والدى ما بدأناه .

ابتعد الشاب عن دائرة الميدان ، واتجه بى إلى مدخل الكوبرى . رغبت فى الجلوس تحت قاعدة التمثال الأيسر . شكرت الشاب وطلبت منه أن ينضم إلى المتظاهرين فوافق . حاولت أن أبكى ولدى نجيب الذى زعموا أنه سقط وهو يحاول الهروب من نافذة المستشفى . حاولت أن أبكى لكن لم أستطع البكاء .. وتذكرت خالد سعيد ، وبشير ، وجمال

الهوارى الذى يبدو أنه لن يعود أبداً . لكن وجدتنى أبكى دون أن تتساقط دموعى .

غادرت المكان فى السادسة مساء بصحبة شعبان الفيومى الذى رأيته بالقرب منى . عبرنا الكوبرى بينما قابلنا متظاهرون يقصدون الميدان .. واصلنا السير إلى كوبرى الجلاء ابتغاء سيارة تاكسى توصلنا إلى ميدان الجيزة حيث أوقفنا سياراتنا خلف سور مسجد الاستقامة ..

حين بلغنا المكان استقل شعبان سيارته إلى مسكنه بالمهندسين ، ومضيت أنا بسيارتى إلى شارع الهرم قاصداً منزلى بحدائق الأهرام . فكرت وأنا فى الطريق بأن مظاهرات ٢٨يناير استكمالاً لما بدأه شباب ٢٥يناير .. وهاهو الميدان قد استقبل جميع التيارات والاتجاهات المدنية والدينية . الجميع أجمعوا على ألا عودة إلى الوراء . والمهم أن ابنى جهاد وأقرانه ممن ينتمون إلى الجماعة قد انتقلوا من الصفوف الخلفية إلى جوار زملائهم فى الصفوف الأمامية ..

الآن أشعر بالارتياح . لن يكون خلاف بعد الآن . لن يختلف جهاد مع أخوته . ولن يسفه آراءهم ؛ الثورة الآن صهرت الجميع ووحّدتهم . الجميع يجأر بنداء واحد "الشعب يريد إسقاط النظام" . عليك الآن يا ثابت أن تركن إلى الراحة، وأن تذكر ابنك نجيب الراحل بفخر واعتزاز . لا تأسف على ما حدث له وخالد سعيد ؛ الشباب والكهول والشيوخ نهضوا وخرجوا للثأر بالإصرار على إسقاط النظام ، ومهما يحاول أركانه فالشعب الذى خرج اليوم لا يبدو أنه سيستجيب ، ولا أظن أنه سيغادر الميدان ..

(٢٥)

هاهى زوجتى تستقبلنى على باب المنزل ، متهللة الوجه مبتسمة النظرات فرحة بما سمعته وبما رآته فى قناتى الجزيرة ، والعربية اللتين قدمتا تقريراً عن احتجاج ٢٥يناير ومظاهرات جمعة الغضب أمس وصباح اليوم . ولم تسأل بلهفة هذه المرة

عن الأبناء . تشابكت يدانا ومضينا إلى الأنترية. تجاورنا فى مقعدينا، وتنفسنا الصعداء. تابعنا ما يجرى دون امتعاض ولا اعتراض فى قناتى الجزيرة والعربية..

(٢٦)

عادت مريم بعد ساعة من وصولى إلى المنزل بصحبة سامح تادرس . تعانى من إصابة فى الرأس . الرأس مربوط بشاش نشع منه الدم . هرعنا إليها وهى فى حالة إعياء .. سارع سامح قائلاً :

- ضربها جندى أمن مركزى بعصاته قبل أن يضطره المتظاهرون إلى التراجع مع أقرانه ..

قالت مريم بحنان :

- اطمئنا فأنا فى حال طيبة . أحتاج فقط إلى النوم بعض الوقت .. ثم سأذهب غداً إلى الميدان ..

غادر سامح المنزل قائلاً:

- سأعود إلى الميدان . لن نغادره إلا بعد سقوط النظام ..

قالت مريم بصوت واه :

- تعال غداً فى الصباح لأذهب معك إلى الميدان .

ابتسمت حياة وهى تلاحظ "حباً" فى عيون سامح ومريم. همست لنفسها : لا مانع لدى إذا ارتبطا بزواج معلن وصريح. لكن هل يقدر سامح أن ثمن زواجه من مريم هو تغيير ملته أو ديانته ؟ . "قالت مريم مرة :

أنا أحب سامح وهو يحبنى . لم نفكر فى تبعات ارتباطنا العاطفى . بيننا عهد . وليكن ما يكون . وأنا واثقة من قدرتنا على حل أية مشكلة . أثق فى حب سامح . سامح يحبنى" .

- هاهى حياة تهمس لى :

- الآن أنا مطمئنة على مريم . ابنتنا فى يد أمينة . يمكن لسامح أن يقود مريم إلى بر الأمان . أنا أقدمها إلى ثورى رشيد .

مضت مريم إلى غرفتها بصحبة حياة . لاحظت رغم إصابة الرأس المعصبة بالشاش المحمر أن ابتسامة الرضا والاطمئنان لم تفارق شفتي حياة. لم تذكر حياة ابننا نجيب الذى جرى اغتياله منذ شهرين . لم نتحدث عنه عقب دفنه طوال الشهرين الماضيين. عندنا قناعة بأن الولد سيثأر له الثوار بعد قليل قصر الزمن أو طال .. لأن الانهيار قادم قادم لا محالة .. لن يضيع دم نجيب المراسى ، ولا دم خالد سعيد وغيرهما من الشهداء . سيثأر لهم وطن متحد .. وهاهو التنفيذ قد بدأ بمعاول الثوار فى كافة الميادين ..

مكتوب على حياة الشاهد أن تعانى مشاعر الحزن وأحاسيس الغضب . فهاهى تفكر -بعد أن غادرت حجرة مريم- فى عصا جندى الأمن المركزى التى أدمت رأسها ، وفى تصميمها رغم الإصابة على العودة مرة أخرى إلى الميدان بصحبة سامح تادرس . أوافق رغم الخطر على أن

يذهبا سوياً إلى الميدان ، ولم لا أوافق إذا كان نجاح مظاهرات الميدان رهن باستمرارها وتواصلها؟ .

(٢٧)

هاهو بعض الاطمئنان يتسلل إلى قلبى ويتملكنى بعد إعلان فرض حظر التجوال ونزول وحدات من الجيش إلى عدد من الشوارع والميادين الصغيرة والكبيرة فى القاهرة والجيزة والإسكندرية والسويس ؛ فنزول الجيش أراه مقدمة لتنفيذ مطالب الجماهير المحتشدة فى التحرير وغيره من الميادين ..

لكن الاطمئنان سرعان ما فارقنى عندما سمعت نبأ انسحاب الشرطة من كافة الميادين . وبعد أن أخبرنى السفير زكريا العباسى أن عناصر مجهولة اقتحمت بقوة نيران عالية المقر الرئيسى للحزب الوطنى ، وأغلب أقسام ومراكز الشرطة فى المحافظات، فضلاً عن اقتحام سجن وادى النطرون

وعدد من السجون وإخراج المسجونين السياسيين والمسجلين خطر بمساعدة هذه العناصر المجهولة التى حرصت على إشعال النيران فى تلك الأقسام والسجون وقتل الجنود الذين دافعوا عنها..

(٢٨)

اليوم السبت ٢٩ من يناير . مضت أربعة أيام على ثورة المتظاهرين . وهاهو سامح قد حضر أمام تصميم مريم على الذهاب إلى الميدان . اقترحت عليها أن أكون بصحبتهما. وافقت. لاحظت أنها قد امتلأت بالثقة وأنا أمشى بينهما..

عندما اقتربنا من الميدان . رأيت الحشود قد ملأته تقريباً . وبدت منصات هنا وهناك يعتليها شباب وكهول . أمسكت مريم بيدى اليمنى وأمسك سامح باليسرى .. واصلنا التقدم نحو المنصة الأولى التى اعتلاها شاب يهدر بنداء ردده المتظاهرون "الشعب يريد إسقاط النظام" .. "والشعب يريد إسقاط الرئيس" ..

منذ عام سمعت هتاف "يسقط يسقط حسنى مبارك" . الآن تواصل هتاف جديد اسمعه فيهتز قلبى الممتلئ بإحساسى بالهلع على ابنى نجيب الذى زعموا أنه سقط من نافذة المستشفى وهو يحاول الهروب . والآن أسمع هتاف "الشعب يريد إسقاط النظام" .. "والشعب يريد إسقاط الرئيس" ..

(٢٩)

تابعت بانتباه مذيع التليفزيون المصرى وهو يعلن أن الرئيس حسنى مبارك سيلقى خطاباً بعد قليل . لكن مضى زمن طويل للغاية وأنا فى انتظار الخطاب ، وأعتقد أن كثيرين غيرى كانوا ينتظرون ما يقوله الرئيس . قبيل منتصف الليل أعلن مبارك أنه أقال حكومة أحمد نظيف موضحاً أنه سيكلف حكومة جديدة بتكليفات جديدة ، وعين بدلاً منه الفريق أحمد شفيق رئيساً للوزراء . كما أنه فى خطابه قرر تعيين رئيس جهاز المخابرات العامة اللواء عمر سليمان نائباً لرئيس

الجمهورية.. ولكن آلاف المحتجين بميدان التحرير والميادين الأخرى طالبوا الرئيس بالتنحى عن الحكم مرددين شعار "الشعب يريد إسقاط النظام" ، وشعار "الشعب يريد إسقاط الرئيس" ، دون أن تتعرض لهم وحدات الجيش فى ميدان التحرير وميادين المحافظات الأخرى..

(٣٠)

اتفقت مع أصدقائى على أن نلتقى عند مدخل كوبرى قصر النيل لنمضى إلى ميدان التحرير خاصة أن الأبناء قد سبقونا إليه . سرنا فوق الكوبرى صامتين واجمين . كان فى الذاكرة صوت مبارك وهو يعلن فى خطابه أمس أنه لن يترشح فى انتخابات الرئاسة المقبلة المقررة فى سبتمبر ٢٠١١ عندما تنتهى فترة رئاسته الحالية ، ويعد بإصلاحات دستورية، واقتصادية ، كما ترددت فى ذاكرتنا حالة الوهن والضعف التى ألمت بصوته وهو يقول : إنه لن يغادر الوطن "فبه عشت

وعلى أرضه أموت" وهو الصوت الذى هز قلوب قطاعات كبيرة من المستمعين الذين تولدت فى نفوسهم الرغبة فى التسامح والتعاطف مع حالة الضعف والوهن البادية فى صوت الرجل ووجهه ..

حين دخلنا الميدان رأينا المسيرة المليونية الأولى ، واستمعنا إلى الأصوات المزمجرة الغاضبة تطالب الرئيس بالتنحى الفورى "الشعب يريد إسقاط الرئيس" ..

فى عصر يوم ٢ فبراير فجأة لفت نظرى وأنا فى صينية الميدان مئات من المؤيدين لمبارك والمتعاطفين معه يقتحمون الميدان وهم يركبون الخيول والجمال . تذكرت حديثاً جرى منذ قليل ونحن نقبل على الميدان جمعنى بالسفير زكريا العباسى ومسعد الخواص . تناول الحديث حالة الغضب التى أصابت أصحاب الخيول والجمال فى المنطقة السياحية بالأهرام فقرروا فض مظاهرة ميدان التحرير بمسيرة إلى

ميدان مصطفى محمود انضمت إليها أعداد أخرى ، ليمضى الجميع إلى كوبرى أكتوبر قاصدين ميدان عبد المنعم رياض ثم ميدان التحرير ، لمواجهة من تسببوا فى تراجع السائحين عن زيارة مناطق الأهرام وأبى الهول وسقارة ، لأن التراجع السياحى يعنى ضياع المال الذى يسيرون به حياتهم المعيشية ، كما يعنى موت الجمال والخيول ..

هاأنا ذا أراهم وهم يقتحمون الميدان مستخدمين العصى والسياط لتفريق المتظاهرين ظنا منهم أن ما يحدث فى الميدان مجرد فوضى إذا استمرت سيضطر السياح إلى مغادرة البلاد، وستمتنع الوفود السياحية العالمية عن زيارة تلك المناطق الأثرية ، وهذا يعنى ضرب السياحة فى مقتل فيتوارى المصدر الأساسى لدخلهم ..

تأملت المشهد . لم أجد عنفاً من راكبى الجمال والخيول . كان المشهد مجرد هجوم "تخويفى" ، لكن فوجئت وفوجئ ركاب

الجمال والخيول بحدوث مواجهة من بعض متظاهرى الميدان ضد هذا الهجوم نتيجة أن ثمة صوتاً جهورياً ارتفع فى الفضاء ينذر بأن هجوماً من أنصار مبارك تدعمهم عناصر من أمن الدولة قد أتوا للقتل المتظاهرين وطردهم من الميدان، ومن ثم جاء العنف الذى أصاب المهاجمين بإصابات بالغة ، وتم إسقاطهم من فوق ظهور الخيول والجمال ، ثم انهالوا عليهم بالضرب المبرح حتى سالت الدماء ، وقتل منهم عدد غير قليل..

(٣١)

غادرت الميدان فى المساء مع أصدقائى ونحن نشعر بارتياب أخذ يتنامى طول طريق حين كنا نقصد الوصول إلى سياراتنا الرابضة خلف سور كازينو قصر النيل ..

مضيت إلى منزلى وأنا أفكر فى هذا المشهد الذى لم يرحنى على الإطلاق . أحسست أن أمراً كبيراً يدبر ضد الثورة . لاحظت زوجتى بعينيها العميقتين ملامح همّ تملكتنى. جلسنا متجاورين وأنا أروى زمناً طويلاً ما جرى فى الميدان،

ثم اتجهنا إلى الشاشة المصرية التى طلع علينا مذيعها يحذر من هجوم محتمل على الثوار .. ثم شاهدت قنابل المولوتوف ورصاصات تطلق من أسطح العمارات مطلة على الميدان لتصيب المتظاهرين دون تفرقة ..

سمعت حياة تقول بصوت متهدج :

- المشاهد فى قناة العربية والجزيرة مثيرة .. توحى بالغموض ، وتنذر بأن المفاجأت واردة .

سارعت إلى القول :

- أشعر بالريبة .. الغالبية ظنت وتظن أن الشرطة بالغت فى القمع ، وأطلقت الرصاص على المتظاهرين . كيف نصدق وقد رأيناها وهى تنسحب من الميدان يوم ٢٨ "جمعة الغضب" .

تساءلت حياة حائرة :

- فمن أطلق الرصاص ؟! من أطلق الرصاص وقد خلا الميدان من جنود الشرطة ؟!

شعرت برغبة شديدة فى الانزواء والاختلاء فى غرفة مكتبى . حين احتوانى المقعد خلف المكتب أحسست بتنامى وتضاعف مشاعر الريبة والشك . رغبت فى التحدث إلى الأصدقاء . لابد من الحديث معهم للإفضاء بمشاعرى . فما يحدث الآن سريع ومتنوع له عواقب خطيرة . كيف يمكن لوطنى أن يجتاز هذه المرحلة بسلام ؟ ..

(٣٢)

طلبت السفير زكريا العباسى لأفضى له بمخاوفى . أتانى صوته عبر سماعة التليفون ليؤكد ما أفكر فيه . أخبرنى أنه جرت عقب صلاة جمعة الغضب عملية كبيرة ضربت الأمن المصرى فى مقتل ؛ هاجم مجهولون أغلب أقسام الشرطة فى محافظات مصر فى وقت واحد ، واقتحم آخرون ملثمون سجن وادى النطرون الذى ضم معتقلى الإخوان المسلمين ، وأنصار حزب الله المتورطين فى قضية تجسس

منظورة أمام المحاكم . قام بعملية الاقتحام مهاجمون مدربون ويستخدمون أسلحة متنوعة ثقيلة ذات نيران عالية . نجح الاقتحام فى تهريب المعتقلين السياسيين والسجناء المحكوم عليهم بأحكام مشددة ، تم الاقتحام أثناء مهاجمة وحرق أغلب أقسام الشرطة فى الجمهورية ، والمقر الرئيس للحزب الوطنى المطل على النيل . قتل نتجية الاقتحام عدد كبير من ضباط وجنود الحراسة . ثمة علاقة تربط بين الاقتحام والحرق الجماعى لأقسام الشرطة ، وما حدث فى موقعة الجمل ..

تساءلت واهناً :

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أن منَ اقتحم وهاجم وحرق – له يد فيما حدث عصر موقعة الجمل وما نراه الآن من صور للحرق والتدمير على شاشتى العربية والجزيرة .

صمت السفير برهة وقال :

- قناصة محترفون .. يعتلون أسطح العمارات المطلة على ميدانى التحرير وعبد المنعم رياض ، والمقر الرئيسى للجامعة الأمريكية .

فعقبتُ قائلاً :

- الواقع أننى مرتاب . إحساس الريبة عارم يدفعنى إلى فكرة تملكتنى : فكرة أن فئة غير ثورية اختلطت بالمتظاهرين ، يخططون الآن لامتلاك الميدان وطرد شباب الثوار منه بعد افتعال مشاجرات عنيفة معهم ..

تذكرت كلام ابنى حمزة عن "الجماعة المحظورة" ، وكيف أن أعضاءها والمنتمين إليها لا يتحدثون ولا يتحركون إلا بتعليمات وتوجيهات مدروسة لا يمكن تجاوزها ، وتذكرت دفاعى عن "الجماعة" بأن حمزة وأمثاله يبالغون فى مخاوفهم من "الجماعة" . فكم تعرضت قيادتها وأفرادها للقمع والتنكيل .

وكم لازمتهم عمليات الملاحقة والإقصاء .. كم نصبت من نفسى محامياً عمن تعرض للسجن والاعتقال . لكن الآن يتوافق إحساس الريبة النشط مع تحذير حمزة المراسى .. وجدتنى أقول مناشداً صورة كبيرة لحياة تتوسط الحائط أمامى:

- حياة .. خطر داهم يحدق بالثوار ، ولابد من اليقظة لفهم ما يجرى فى الوطن .

رأيتها تغادر برواز الصورة أمامى .. وتدنو من المكتب . اقتربت منى تطلعت إليها بحزن ، فمدت كفها اليمنى وربتت كتفى الأيمن بحنان . همستُ بقلق بالغ :

- أرأيت ما جرى فى ميدان التحرير وعبد المنعم رياض مساء موقعة الجمل ؟! كر وفر وهجوم شبه عسكرى على متظاهرى عبد المنعم رياض ومطلع الكوبرى؟!.. أرأيت قناصة أسطح العمارات المطلة على الميدان ؟ ، وطبعاً رأيت المولوتوف يسقط فوق المتظاهرين .

توقفتُ للحظات وفكرت فى صورة العرض العسكرى لشباب إخوانى داخل جامعة الأزهر منذ خمس سنوات بهدف استعراض القوة .. وقد علقت صحف قومية ومستقلة على الاستعراض بأن ما جرى داخل جامعة الأزهر مليشيات مدربة تجهز لأمر مستقبلى . لكن لم يتطوع أحد لتحليل هذا المشهد الخطير الذى تناقلته بالصورة أغلب الصحف المصرية..

الآن أفكر فى عصر موقعة الجمل كما أفكر فى مسائها: ما جرى فى الموقعة معركة بين شباب مدرب منظم ، وشباب يفتقد مهارة التخطيط والتنظيم ، وصف مذيع الجزيرة الصدام بأن عملاء أمن الدولة فتحوا النار على المتظاهرين الثوار المسالمين . فهل يمكن تصديق مذيع الجزيرة المثيرة ؟!

(٣٣)

ماذا يجرى الآن ؟. كررت لنفسى ماذا يجرى الآن ؟!. أعلن مبارك تخليه عن منصبه وتسليمه قيادة البلاد للقوات

المسلحة. فخرجت الملايين معبرة عن فرحها برحيله . فهل توقف إحساسك يا ثابت بالارتياب ؟. حدثت نفسى بأن الأيام القادمة بعد الرحيل مكتظة بالمفاجأت ؛ فهاهى وزارة أحمد شفيق تواجه باحتجاج ثورى عارم بقيادة عناصر من الإخوان المسلمين تطالب بإسقاط الحكومة ، وتطهير أى حكومة قادمة من شخصيات تنتمى إلى عهد مبارك . وهاهو المجلس العسكرى بقيادة المشير طنطاوى يخضع لتظاهرات تقودها جماعة الإخوان التى لم تعد محظورة بعد أن جلس مع قيادتها اللواء عمر سليمان نائب الرئيس وبعض القوى السياسية ..

وهاهم شبابهم يتقدمون الصفوف بعد أن نجحوا فى موقعة الجمل ، وهاهم يمشون فى قوة وخيلاء فى الميدان وخارجه.. وهاهو الجيش يواجه مظاهرات أمام مبنى ماسبيرو حفاظاً عليه . لكن عناصر مجهولة أطلقت الرصاص الحى على المتظاهرين فسقط خمسة وعشرون مواطناً مسيحياً . وهاهى أصوات تتهم قوات الجيش بقتلهم بالرغم من أن

القوات المدافعة لم تطلق رصاصة حية واحدة . وهاهى أصوات ترتفع فى فضاء الميدان بنداء "يسقط يسقط حكم العسكر" .. من صاحب هذا النداء ؟. من له مصلحة فى سقوط القيادة العسكرية ؟. أشعر أن النداء الجديد يتجاوز القيادة إلى المناداة برحيل الجيش من شوارع المدن والبقاء فى الثكنات وحراسة حدود الوطن .. من له مصلحة فى سقوط القيادة وفرق الجيش الحامية الآن ؟. كيف يمكن الاطمئنان على الوطن ؟! .

قلت لحياة فى غضب :

- قوى خارجية وداخلية جبارة تعبث بأمن الوطن وسلامته .

فأضافت حياة :

- الحق أنا غير مطمئنة .

تساءلتُ فى قلق :

- أين الأولاد ؟ . أين حمزة ومريم وجهاد ؟

فهمستْ :

- جرى اغتيال الشيخ عفت صباح اليوم فى مظاهرة مجلس الوزراء . جرى اغتياله من خلف . فمن قتله ؟!

فعقبت قائلاً :

- عرفت الخبر . لا يمكن طبعاً أن يقتله جندى جيش أو جندى شرطة . القتل تم من الخلف ومن مسافة قريبة . من هذا الطرف الثالث الذى بدأ بعض الثوار يروجون له ؟؟ .

توقف كلانا عن الكلام بأصوات مرتفعة تبين لنا أنها أصوات شجار فى غرفة حمزة وجهاد . هرعنا إلى الغرفة فرأينا الاثنين يتبادلان الاتهام . قال حمزة :

- الإخوان وراء مذبحة ماسبيرو ، ومقتل الشيخ عفت .. أنتم الطرف الثالث الذى تتحدثون عنه .

فقال جهاد :

- كلام فارغ . لا يمكن أن يصدقه عاقل .

- كثيرون يصدقونه .

- أنت تشوه الجماعة بكلامك .

- كلامى صدى رأى عام . الإخوان لهم تاريخ أسود فى التآمر ، والاغتيال ، وإزاحة الآخرين من طريقهم . وأسألك الآن يا جهاد : أين ثوار الميدان الآن؟! ، أنتم تتصدرون المشهد . وزيارة "القرضاوى" للميدان ما هى إلا تأكيد على إزاحة مَن قاموا بالثورة لتحلوا محلهم . أين كنت يوم ٢٥ ؟! . حتماً سيكتشف الشعب يوماً الحقيقة ..

اندفع جهاد إلى حمزة هائجاً ولكمه لكمة شديدة أسالت دمه . حاول حمزة مقاومته لكن جهاد المدرب على المواجهة

عاجله بلكمة ثانية وثالثة ؛ فأسقط شقيقه على الأرض . أسقط حمزة، وخرج غاضباً يسبنا جميعاً ويتوعدنا بالويل والثبور وعظائم الأمور ..

نالنى القهر وبكت حياة .. وحضرت مريم مرتاعة لتشاهد حمزة ممدداً فوق الأرض فى شبه إغماء تسيل من أنفه وفمه الدماء. اجتهدت مريم فى إفاقته ومساعدته على النهوض. أجلسته فى مقعد مجاور للفراش انذى كم جمع الشقيقين حمزة وجهاد. نظر حمزة إلينا ملياً وقال بوهن وانكسار : خسارة.. خسارة جهاد . سامحته . ربنا يهديه ..

لم يمض وقت طويل حتى تلقيت مكالمة على المحمول من جودة البنهاوى ، أفاد فيها بأن صداماً وقع بين الثوار وشباب الجماعة فى أكثر من مكان ، وثمة إصابات .. واتصل شعبان الفيومى قائلاً : تشاجر سعد وسعيد . تشابكا بالكلام . ثم مانبث أن انهال سعد على شقيقه بلكمات مدرب خبير

فاجأتنى ، ثم ضرب رأسه بقطعة حديد شجت رأسه لمجرد اتهام سعيد للإخوان بأنهم يريدون أن يركبوا الثورة ويقصوا مَن قام بها . أحتاجك يا صديقى إلى جانبى . سعيد يصارع الموت فى مستشفى المروة . أحتاجك إلى جانبى . قبل أن أغادر المسكن للذهاب إلى المستشفى اتصل بى السفير زكريا العباسى وقال :

- اطلق ملثمون النار من سيارة مسرعة على سامح تادرس عندما ابتعد عن منزله قليلاً فمات فى الحال .

غادرت الغرفة متثاقلاً . أشعر بثقل شديد فى ساقى السليمة .. هرعت حياة لتساعدنى على السير إلى مقعدى . جلست . أطرقت برأسى وأغمضت عينى ، بينما سمعت مذيع "قناة العربية" يقول : "ووقع صدام بين بعض الثوار والبعض الآخر" .. همستُ : اختلف الثوار .. اختلفوا . مَن أوقع الخلاف بين الثوار ؟! ..

غفوت بحزن فى إطراقتى زمناً غير قصير . عرضت بذهنى صور متعاقبة لنجيب المراسى ، وسامح تادرس ، وسعيد الفيومى ، وبشير العباسى ، وحمزة المراسى ، وخالد سعيد ... فجأة انتبهت على صرخة مدوية لابنتى مريم .. عرفت مريم الآن خبر مصرع سامح الثورى الأمين . فكرت بحزن فى الصور المتعاقبة ، وتأملتُ مريم التى تبكى فتاها الشهيد . وحين أوشكت على البكاء تجلى وجه "حياة الشاهد" ، فانسرب الحزن ، وتراجع البكاء ، وتجمدت الدموع فى عينى ثابت المراسى ..

فبراير ٢٠١٣

كتب أخرى للمؤلف

أولاً- الإبداع القصصى والروائى:

أ- المجموعات القصصية :

- **الجرح:** مجموعة قصصية، ط (١) لجنة النشر للجامعيين، ١٩٧١، ط (٢)، الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٩١، ط(٣) دار الإبداع ٢٠٠٨ ، ط(٤) بورصة الكتب ٢٠١٣.
- **الكلام:** مجموعة قصصية، ط(١) دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١، ط(٢) الآداب-القاهرة، ١٩٩١، ط(٣) دار الإبداع ٢٠٠٨ ، ط(٤) بورصة الكتب ، ٢٠١٣ .
- **أمواج الفردوس:** مجموعة قصصية، ط(١) الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠٥، ط(٢) دار الإبداع ٢٠٠٩.
- **يـــــوم:** قصص، ط(١) أجيال- الجيزة، ٢٠٠٨.
- **الصياح فى الوديان :** بورصة الكتب، القاهرة ، ٢٠١٣ .
- **لم ينج أحد..:** بورصة الكتب، القاهرة، (تحت الطبع) .

ب- الروايات:

- **سلوى الروح:** ط(١) مكتبة صقر ، طنطا ، ١٩٦٠ ، وط(٢)، دار الإبداع ، القاهرة ، ٢٠٠٧.

- **العائد بالحب:** ط(١) دار الإبداع- القاهرة، ٢٠٠٦، وط(٢) أجيال – الجيزة، ٢٠٠٨.

- **فوق الأحزان:** ط(١) دار الإبداع- القاهرة، ٢٠٠٨، وط(٢) إيزيس ، المنصورة ، ٢٠١٢.

- **صخب الهمس:** (ط١) دار الإبداع – القاهرة، ٢٠٠٩، وط(٢) بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١١.

- **حدائق الخريف :** ط(١) بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١٢.

- **تحت الأحزان:** ط(١) بورصة الكتب – القاهرة ، ٢٠١٣ .

ثانياً: الكتب النقدية :

١. فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ. ط(١) مكتبة أم القرى، الكويت، ١٩٨٤، ط(٢) الأنجلو المصرية ١٩٨٨.

٢. في البلاغة العربية (علم البيان). ط (١)، الأنجلو المصرية ١٩٨٨.

٣. قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم. الأنجلو المصرية ١٩٨٩ .

٤. تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي. الأنجلو المصرية ١٩٨٩ .

٥. في البلاغة العربية (علم المعاني). ط (١)، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١.

٦. مقاييس الحكم الموجز في الموروث النقدي. الأنجلو المصرية ١٩٩١، ط ٢ ، بورصة الكتب ودار السياب بلندن ٢٠١١.

٧. الخطاب النفسي في النقد العربي القديم، ط(١) ١٩٩٣ مكتبة الأنجلو المصرية، ط(٢) ٢٠٠١ مكتبة الآداب، ط(٣)، مكتبة الآداب ٢٠٠٦، ط(٤) بورصة الكتب ودار السياب بلندن.

٨. فاعلية التعاقب في الشعر العربي الحديث. الأنجلو المصرية ١٩٩٥.

٩. جدلية الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر. ط(١) مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥، ط(٢)، الانجلو المصرية ١٩٩٩.

١٠. الصنعة الفنية في التراث النقدي. ط (١)، مركز الحضارة العربية ١٩٩٩.

١١. طاقات الشعر في التراث النقدي. ط(١) الأنجلو المصرية ١٩٩٩، وط٢ مكتبة الآداب، ٢٠٠٧ .

١٢. إحكام النص الشعري في الموروث النقدي والبلاغي. ط(١) الأنجلو المصرية ٢٠٠٠.

١٣. نظرية الإبداع الشعري عند النواجي. ط (١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٠.

١٤. تجليات الإبداع الأدبي: دراسات في الشعر والقصة والمسرحية. ط(١) مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٢.

١٥. أساليب علم المعاني بين النظرية والتطبيق. ط (١)، مكتبة الآداب ٢٠٠٣ .

١٦.الفنون البيانية والبديعية بين النظرية والتطبيق. ط (١)، مكتبة الآداب ٢٠٠٣.

١٧.النثر الفني في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. ط (١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٣.

١٨.الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. ط (١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٣.

١٩.البنيات الكاشفة عند نجيب محفوظ دراسات في النص القصصي من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٩٦. الأنجلو المصرية ٢٠٠٤ .

٢٠.مرايا التجلي : رؤى نقدية كاشفة.ط(١) الأنجلو المصرية ٢٠٠٥ .

٢١.فيض القلم: مقالات فى الثقافة والأدب. ط١، الأنجلو المصرية ٢٠٠٥.

٢٢.نجيب محفوظ حالما بالقمر. ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٦.

٢٣.الأداء التبادلى فى الشعر العربى ، مكتبة الآداب ، ط(١) ، ٢٠١٠ .

٢٤.لعبة الضمائر فى قصص وروايات نجيب محفوظ ، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١١.

٢٥.لعبة الضمائر فى قصص ورويات نجيب محفوظ ، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١١.

٢٦.تقنيات السرد الشعرى فى الشعر العربى الحديث ، مكتبة بورصة الكتب، ٢٠١٣ .

٢٧.الخطاب الرئاسى فى الأدب العربى ، مكتبة بورصة الكتب ، (تحت الطبع) .

٢٨.الرسالة الرئاسية فى الأدب العربى ، مكتبة بورصة الكتب ، (تحت الطبع) .

عن المؤلف:

١- تجليات الفن القصصى عند حسن البندارى : دراسات نقدية لعدد من النقاد ، ط(١) ، دار الإبداع ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ط(٢) دار الإبداع ، ٢٠١٠ .

٢- آفاق الإبداع الروائى عند حسن البندارى : دراسات نقدية لعدد من النقاد ، ط(١) ، دار الإبداع ، القاهرة ، ٢٠١٠ .

٣- دراسات عن بعض روايات المؤلف فى مجلة الرواية قضايا وآفاق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد العاشر ، ٢٠١٣م .